إنصاف المتنبي من منصف ابن وكيع في قسم السيفيات

(دراسة نقدية موازنة في ضوء صورة المعنى)

الدكتورة

راوية حسين جابر خليل

مدرس البلاغة والنقد بجامعة الأزهر (مصر)

الأستاذ المساعد بجامعة القصيم(السعودية)

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

تتقدم الباحثة بجزيل الشكر لجامعة القصيم ممثلة بعمادة البحث العلمي على دعمها المادي لهذا البحث تحت رقم (١٩٩٣) خلال السنة الجامعية ١٤٣٨هـ /٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

شُرِّعت أقلام كثيرة للدفاع عن المتنبي ، وانبرى أصحابها منافحين بمؤلفاتهم العديدة التي ترد كيد الكائدين من أمثال ابن وكيع الذي أمعن في تمحل السقطات للمتنبي ، فجاء عنوان كتابه (المنصف) على ضد معناه ، ليضيف إلى معجم الأضداد مفردة جديدة ، على نحو ما يرى ابن رشيق حيث يقول "وأما ابن وكيع فقدم في صدر كتابه في أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا للصدر الأول ، إن سُلِّم ذلك لهم ، وسماه (المنصف) مثل ما سمي اللديغ سليما ، وما أبعد الإنصاف منه!! " [١] وسواء كان تأليف الكتاب بإيعاز من أصحاب السلطة كما يرى (بلاشير)[٢] أو بدافع شخصي على نحو ما يضيف د. إحسان عباس في قوله " وأقوى من هذا أن يقال إن الكتاب كان رد شاعر مغيظ على طبقة من المتعصبين لأبي الطيب" [٣] فما كان ليعجب ابن وكيع أن يلتف الناس حول المتنبي الوافد على البيئة المصرية ، ويعظموا شعره ، ويعرضوا عن شعره هو المولود فيها ، سواء أكان هذا أم ذاك فإن الرجل أقبل ينقد شعر المتنبي ويرد كثيرا منه إلى معاني السابقين أو المعاصرين ، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي عالجت هذا الشأن على العموم ، فما زلنا في حاجة إلى معالجة تفصيلية لجزئياته ، فلم أجد –على حد علمي– دراسة تعالج المواضع التي ادعى فيها ابن وكيع أن المتنبي أخذها عن غيره ؛ لتفرق بين صورة المعنى عنده وصورته عند

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق د. النبوي شعلان ، ط١ الخانجي – القاهرة ٢٠٠٠م ١٠٧٣/٢ .

(٢) في كتابه (أخبار أبي الطيب) نقلا عن مقدمة محقق المنصف : د. محمد رضوان الداية .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ، ط٤ ، دار الثقافة –بيروت ١٩٨٣م ، ص ٢٩٤ .

غيره ؛ فقام هذا البحث بجزء من هذا العمل، ليكون عنوانه (إنصاف المتنبي من منصف ابن وكيع في قسم السيفيات دراسة نقدية موازنة في ضوء صورة المعنى) ،إذ تقوم الدراسة على الموازنة بين أبيات المتنبي في قسم السيفيات ، الأبيات التي ادعى فيها ابن وكيع أن المتنبي أخذها عن غيره وبين أبيات غيره في ضوء الموازنة التي تعتمد صورة المعنى كما جاءت عن عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز)؛ للوقوف على صورة المعنى عند المتنبي وصورته عند غيره.

وقد آثرت أن يختص البحث بـ (قسم السيفيات) من المنصف لسببين: **الأول** : ما لشعر المتنبي في سيف الدولة من قيمة عالية، وروعة بالغة ، يقول (طه حسين) عن شعر المتنبي في سيف الدولة " وهو إن جُمع في سفر مستقل لم يكن من أجمل شعر المتنبي وأروعه وأحقه بالبقاء ، بل من أجمل الشعر العربي كله وأروعه وأحقه بالبقاء " [(١)] فلما كان هذا الشعر حقيقا بالبقاء ، كان حقيقا برفع الضيم عنه ، ودحض التجني عليه ، **والسبب الثاني** : أن هذا القسم من (المنصف) جاء في معظمه خاليا من تعليق لابن وكيع، فقد كان يذكر قول المتنبي وقول غيره ويترك الأمر على إبهامه، فأردت إيضاحه وتجليته ورد الحق لصاحبه

وتتمثل أهمية الدراسة في تطبيق الموازنة على أساس صورة المعنى ، وفي إثرائها للدرس النقدي، ورفع الضيم عن المتنبي في الأبيات موضع الدراسة.

ويهدف البحث إلى إقامة موازنة بين أبيات المتنبي التي قال عنها ابن وكيع : إنه أخذها عن السابقين وبين الأخيرة ؛لإبراز فروق الصياغة والتصوير ليتضح من خلالها مبلغ الإجادة أو التقصير ،وهل يعد أخذه سرقة أو لا ، بناء على المنهج الذي رسمه ابن وكيع نفسه في باب تفسير وجوه السرقات الذي عقده في صدر المنصف ؛ لتقوم الحجة عليه من نفسه.

---

(١) مع المتنبي ، طه حسين ، دار المعارف – مصر ،ص ١٦٩.

وقد تنوعت الأبيات التي أوردها ابن وكيع في (السيفيات) ما بين الموازنة وهي الأغلب ، والشرح ، والنقد ، فجاء البحث في مقدمة ،وتمهيد : في المتنبي وابن وكيع ، والسرقات والتناص والصورة ، ثم في قسمين : الأول :لمواضع الموازنة ، والثاني : لموضعي النقد ، وأغضيت عن مواضع الشرح ؛ لأنها ليست مجال هذه الدراسة.

وكان عمل البحث عند الشروع في الموازنة متمثلا في وضع عنوان مناسب لكل موضع من مواضع الموازنة ، وعرض ما قاله ابن وكيع في كل موضع ، وتوثيق نسبة الأبيات إلى قائليها بتخريجها من الدواوين ، والترجمة لغير المشهورين منهم ، وذكر شرح يسير لمعنى المتنبي ، ثم الموازنة بين صورة المعنى عند المتنبي وصورته عند غيره لمعرفة أيتهما أجود ، وعليه يتضح ما إذا كان ابن وكيع منصفا –كما يدعي –أو متجنيا على المتنبي ،يسلبه حقه في محاولة للغض من شأنه ، والنيل من مكانته.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، كما يقوم بتقصي الأبيات –موضع الدراسة –وتتبعها في شروح ديوان المتنبي ؛ للوقوف على مدى موافقة شراح الديوان لابن وكيع أو مخالفته .

وكان المصدر المعتمد عليه في مادة البحث الأولية هو كتاب (المنصف في نقد الشعر) لابن وكيع التنيسي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، واستعنت بمجموعة من المراجع ، في مقدمتها : شروح ديوان المتنبي : كشرح العكبري والبرقوقي وابن الأفليلي ، وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ، ويتيمة الدهر للثعالبي ، مستنيرة بـ(دلائل الإعجاز).

هذا، وقد توخيت الإنصاف ما استطعت إليه سبيلا ، فلعلي قاربت الهدف، واللهَ أسأل أن ينير دروبنا، ويجعل التوفيق حليفنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الباحثة

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

تمهيد

أ- المتنبي وابن وكيع

المتنبي :

"هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، أبو الطيب االجعفي ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ، ... وأكثر المقام بالبادية ، وطلب الأدب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر منذ حداثته ، حتى بلغ فيه الغاية التي فاق بها أهل عصره ، وعلا شعراء وقته ... ، وقتل سنة ٣٥٤هـ" (١)

قال عنه ابن الأثير :" وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ،ومهما وُصِف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء " (٢) هذا الشاعر الذي ملأت شهرته الآفاق ، وطوف البلاد شرقها وغربها، أوجد حوله أنصارا من جهة ، وحسادا من جهة أخرى ، ترتب على ذلك حركة نقدية أثرت النقد العربي ، على نحو ما يقول ابن شرف القيرواني :"وأما المتنبي فقد شغلت به الألسن ، وسهرت في أشعاره العيون الأعين ، وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش في قعره عن جمانه ودره ، وقد طال فيه الخلف .... والذي أقول : إن له حسنات وسيئات وحسناته أكثر عددا وأقوى مددا ، وغرائبه طائرة ، وأمثاله ثائرة ، وعلمه فسيح ، وميزه صحيح ، يروم فيقدر، ويدري ما يورد ويصدر " (٣) شهد

---

(١) تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي ، تحقيق /بشار عواد معروف ، ط١ دار المغرب الإسلامي ٢٠٠١م ، ١٦٤/٥ وما بعدها .

(٢) المثل السائر ، ابن الأثير، تحقيق/كامل محمد محمد عويضة، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨م، ٣٠٨/٢ .

(٣) رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني ، ضمن مجموعة رسائل البلغاء، جمع/ محمد كرد علي، ط دار الكتب العربية الكبرى (مصطفى البابي الحلبي) –القاهرة ١٩١٣م ، ص٢٥١ .

أبو العباس النامي بأنه الشاعر الذي سد الزاوية المتبقية في الشعر العربي [١] ، ويجزم الدكتور عباس حسن بأنه أكبر شاعر عربي وأنه فاق سابقيه ومعاصريه حيث يقول :" أكبر شاعر عربي شهد له السابقون واعترف له التاريخ –أو كاد– بأنه زعيم الشعراء في عصره وقبل عصره ، فكأنه فرد يمثل طائفة أو طائفة تتمثل في فرد ، أو شاعر تتركز فيه مزايا الشعراء جميعا ، ويحمل راية الزعامة منهم " [٢]

ابن وكيع :

"العلامة البليغ الشاعر ، أبو محمد ، الحسن بن علي بن أحمد بن القاضي محمد بن خلف بن وكيع الضبي البغدادي ، ثم التنيسي ، من فحول الشعراء .

وله ديوان ،وكان يلقب بالعاطس ، .... ، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بتنيس ، وبنوا على قبره قبة " [٣] .

موقف ابن وكيع من المتنبي :

اتخذ ابن وكيع قدم العهد أحد سببين لتفضيل سابقي المتنبي كأبي تمام والبحتري عليه ، حيث يقول " لكنه بعد هذا لا يستحق التقديم على من هو أقدم

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق/ مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ،ط٢ دار المعارف ص ٨١ .

(٢) المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة، عباس حسن ،ط١ ،مصطفى البابي الحلبي ١٩٥١م،ص٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ م ،٦٤/١٧ ، وانظر الأعلام ، الزركلي ، ط ١٥ دار العلم للملايين ٢٠٠٢م،٢٠١/٢ . ، وللمزيد انظر : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق / إحسان عباس دار صادر – بيروت ١٩٠٠م، ١٠٤/٢ ، ويتيمة الدهر ، الثعالبي ، تحقيق/ مفيد محمد قميحة ، ط١ دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٨٣م ، ٤٣٤/١

منه عصرا ، وأحسن شعرا كأبي تمام والبحتري " [١] وهذا لا يستقيم ، ولا يصلح قاعدة في المفاضلة ، فلا فضل للقديم لمجرد قدمه الذي لا جهد له فيه ، ولا بخس للحديث لتأخر عهده الذي لا يد ولا ذنب له فيه .

ويبخس ابن وكيع المتنبي حقه حين يعلل إعجاب أنصاره بشعره بقوله " لكل جديد لذة فلما كان شعره أجد فيهم عهدا ، كانوا له أشد ودا " [٢] ألم يكن في عصر المتنبي شاعر غيره ؟ لماذا لم ينصرف إعجابهم إلى غيره ممن هم جديدو العهد ؟ فلو كانت جدة العهد سبب تفضيله ، لكان من الممكن تفضيل غيره من معاصريه أو مَن بعدهم ، بل يصف ابن وكيع أنصاره بأنهم أدعياء في الأدب لا نسب لهم فيه ، إذ يقول "لا أزال أرى من منتحلي الأدب من يعارض شعريهما [أبي تمام والبحتري] بشعره ويزن قدريهما بقدره" [٣] وتعجب من قوله بعد ذلك " وما غرضنا في ذلك الطعن على فاضل ولا التعصب لقائل " [٤]

وعلى كثرة ما ادعاه من سرقات على المتنبي تراه يبرأ من ادعاء الإحاطة بجميع سرقاته ، إذ يقول "ولسنا نضمن إيراد جميع سرقاته ، وإنما نذكر من ذلك ما بلغنا علمه من مأخوذه، ونحن نبرأ إلى الناظر من ادعاء الإحاطة بجميع ما سلبه ، ومعرفة جملة ما اغتصبه ؛ لأني لا أدعي رواية جميع الأشعار"[٥] انظر كيف يقذع في اتهامه بالسلب والاغتصاب ، ثم يدعي بعد ذلك الإنصاف ! وهو بعد يتوقع أن له سرقات أخرى –على حد تعبيره– لم تصل إليه .

---

(١) المنصف في نقد الشعر، ابن وكيع التنيسي ، ٢/١ ، تحقيق/د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة ــ دمشق ١٩٨٢م .

(٢) السابق ٣/١ .

(٣) السابق ٢/١ .

(٤) السابق ٥/١ .

(٥) السابق ٤٨/١ .

هذا، وقد وعد ابن وكيع بترك الحديث في المكرر المردد ، وما تتوارد فيه الخواطر في صدر كتابه فقال : " فأمّا الأبيات الفارغات والمعاني المكررات المرددات فإني لا أشتغل بإيرادها ولا أطيل الكتاب باعتمادها،.... على أني لا أذكر المعاني التي قد كثّرت الشعراء استعمالها وواصلت استبدالها وصار مُورِدُها قد حصل له اسم السارق ولم يظفر بمعنى فائق، وذلك كتشبيه الوجه بالبدر، والريق بالخمر المسال والماء الزلال، والقد بالغصن، وما أشبه ذلك من المتكرر المتردد والمألوف المتعود" [١] ثم لا يفي بما وعد ؛ إذ نجده يذكر نحو قوله : سقى مثواك ...البيت ويدعي أخذه من ابن المعتز حيث يقول : يا غيث سق محمدا ... البيت[٢] والمعنى في البيتين مما هو مشهور استعماله وتتوارد فيه الخواطر ، على أنه قد اضطرب في هذا الأمر ، فقال "ولكني أخاف أن يظن بنا غفلة عنها لا التجاوز لها فأحتاج إلى إيراد شيء من ذلك خوفاً مما ذكرت لك ولا يكون في غاية الفراغ من معنى يتعلق به" [٣]

ب ـ السرقات والتناص والصورة

يقرر عبد القاهر عموم الشركة في المعاني المجردة فحسب ، أما الصياغة فتخرجها من العموم إلى الخصوص " واعلم أن المشترك العام والظاهر الجلي والذي قلت إن التفاضل لا يدخله ، والتفاوت لا يصح فيه ، إنما يكون كذلك منه ما كان صريحا ظاهرا لم تلحقه صنعة ، وساذجا لم يعمل فيه نقش ، فأما إذا ركب عليه معنى، ووصل به لطيفة ، ودخل عليه من باب الكناية والتعريض والرمز والتلويح ،فقد صار بما غُيِّر من طريقته واستؤنف من صورته ، واستُجِد

---

(١) السابق ٨٥/١ .
(٢) سيأتي البيتان في الموازنة .
(٣) المنصف ٨٥/١ .

له من المعرض ، وكسي من دل التعرض داخلا في قبيل الخاص الذي يُملك بالفكرة والتعمل ، ويُتوصل إليه بالتدبر والتأمل " [١].

ولا حرج أن يتأثر المتنبي بمن سبقه ؛ إذ " يعتمد الشاعر [في عملية الإبداع] على مادة قراءاته ،وأهمها بالطبع الأشعار التي قرأها وحفظها خلال حياته ، ومن هنا يقع التشابه أو التماثل بين بعض أفكاره وصوره وأفكار الشعراء الذين سبق له أن قرأ لهم أو حفظ أشعارهم وصورهم ، ومن ثم تحدث الشبهة عند نقاد العرب في وجود سرقة متعمدة لا ظل لها في الواقع إذا فهمت في ضوء عملية الإبداع الفني " [٢] كتلك الشبهات التي عرضت لابن وكيع .

" والأمر الذي لا جدال فيه أن المتنبي واسع القراءة والاطلاع ، استفاد من الوراقة وأيام الدراسة والتجوال فتأثر وتطبع ، فلا غرابة أن تدخل شعره بعض الألفاظ ، أو جوانب من المعاني من شعر غيره عن عمد أو عن غير عمد"[٣] غير مؤاخذ بها لأنها جزء من ثقافته التي هي الداعم الأول لإبداعه .

وقد فطن نقادنا القدامى إلى أنه لا مفر للشاعر – وإن لم يبرئوه من تهمة السرقة – من الأخذ من معاني غيره ، فالجرجاني يقول : " والسرق – أيدك الله – داء قديم " [٤] فالمتنبي ليس ببدع فيها ، شأنه شأن غيره من الشعراء في تقاطع نصوصه مع نصوص أخرى اختزنت معانيها أو صورها في ذاكرته ، ثم

---

(١) أسرار البلاغة ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود شاكر ،ط١ المدني –جدة ، القاهرة ١٩٩١م. ص ٣٤٠.

(٢) مشكلة السرقات في النقد العربي ، محمد مصطفى هدارة ،مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م، ص٢٥٢ .

(٣) المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ،د. محمد التونجي ،ط٢ عالم الكتب –بيروت ١٩٩٢م ، ص٢٥٢ .

(٤) الوساطة ،القاضي الجرجاني ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوي ، المكتبة العصرية –بيروت ٢٠١٠م، ص١٨٥ .

انمحت حروفها وحدودها وكساها من إبداعه وفنه ، وصبغها بصبغته ،والآمدي يقول " باب لا يعرى منه أحد من الشعراء إلا القليل " [١] فتقاطع النصوص أمر حتمي، لا يكاد يبرأ منه شاعر ، ويؤكد ذلك ابن رشيق حيث يقول " باب متسع لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه " [٢] فكان ينبغي ألا يسلط النقاد سياطهم على المتنبي أو غيره ممن تداخل شعره مع شعر غيره ، وقد أثبت النقد الحديث أن التناص المقابل لمصطلح (السرقة) قديما أحد معايير النصية ، فالأديب حين ينشئ قطعة أدبية شعرية أو نثرية لا يبدأ من العدم ، وإنما يرجع إلى مخزونه المعرفي وبيئته وثقافته ومجتمعه كل ما اختزن في ذاكرته ، فيصوغ أدبا مطبوعا بطابعه الخاص متأثرا في الوقت ذاته بما قرأ أو حفظ لغيره .

وقد " أخذ أبو الطيب يقطع أيامه بالتزود من كل علم ، والاستزادة من كل فن ، وقد وهبه الله ذاكرة واعية وفهما نافذا ، وقدرة على النقد والتمييز ، ونفسا شاعرة تأخذ من ذخائرها ما تشاء، وتنضو عنه ما يعلق به ، وتجلوه جلوة العروس في ثياب عرسها " [٣] فلا غرو أن تخرج معانيه في ثياب قشيبة ، وحلل رائعة تفوق في معظمها من ادُّعي أخذه منهم .

وإذا كان نقادنا القدامى قد ملؤوا الدنيا بمصطلح (السرقة) وأطالوا البحث فيه ، وشغلوا أنفسهم به زمنا طويلا ، فإن منهم ، من اقترب من مفهوم(التناص) ، فهذا (البديعي) يتحدث في (الصبح المنبي) عن الأبيات التي أخذ عنها المتنبي صورا أو ألفاظا أو معاني، ويورد في المقابل ما أخذه عنه بعض الشعراء ، وما أُخذ عنه وصيغ نثرا من قِبَل الصاحب وأبو إسحاق الصابي

---

(١) الموازنة ، الآمدي ، تحقيق /السيد أحمد صقر ، ط٤ ، دار المعارف ١٣٨/١ .

(٢) العمدة ، ابن رشيق ١٠٧٢/٢ .

(٣) المتنبي ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود محمد شاكر ، المدني –القاهرة ، جدة ١٩٨٧م ،ص٣٢٤ .

والخوارزمي[١] ، أي أنه يؤمن بقضية التأثير والتأثر ، ويمثل هذا اعترافا منه بأنه ضرورة ، وربما عُدَّ هذا أصلا عربيا لمفهوم التناص ، فقد تقاطعت نصوص المتنبي مع نصوص غيره على نحو متبادل ، وحتمية لا مفر منها ، على نحو ما جعل النقد الحديث (التناص) أحد معايير النصية.

وإذا كان المتنبي قد أخذ فقد زاد وأجاد ، وأحسن التصرف في الصور فجاءت مختلفة عن غيره ، على نحو يعفيه من المؤاخذة ، ويجعله جديرا بالمكانة التي تبوأها .

ومفهوم الصورة الذي اعتُمِد في البحث هو مفهومها الذي جاء عن عبد القاهر الجرجاني حيث يقول: "واعلم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع فيه التصوير والصوغ كالفضة والذهب، يصاغ منها خاتم أو سوار ، فكما أن محالا إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته ، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محال أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه" [٢].وإذا كان ثمة سبيل إلى أن يتشابه خاتمان أو سواران فإنه " لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر ... فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصنعته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك ... فأما أن يؤدى المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه كلام الأول حتى لا تعقل منه إلا ما عقلته هناك ... ففي غاية الإحالة ويفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة " [٣] وقد قال في القسم الثاني من الموازنة

---

(١) الصبح المنبي ص ٢٧٠-٢٨١

(٢) دلائل الإعجاز.عبد القاهر الجرجاني . تحقيق/ محمود شاكر . ط٣ المدني -جدة والقاهرة ١٩٩٢ م. ص٢٥٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦١ .

بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين " للمعنى في كل واحد من البيتين من جميع ذلك صورة وصفة غير صورته وصفته في البيت الآخر [فسبيل المعنى في البيتين سبيل] الشيئين يجمعهما جنس واحد ثم يفترقان بخواص ومزايا"(١)

فقد أولى عبد القاهر الأهمية للصياغة من حيث تصويرها للمعنى ، وربط الألفاظ بعضها ببعض ، وتعاون الجمل على تأليف الصورة ، وإنتاج الدلالة، فالصورة التي يتعاون فيها النظم والبيان هي مدار الحسن عند عبد القاهر .

(١) دلائل الإعجاز ص ٥٠٧ .

أولا : المواضع التي وازن فيها ابن وكيع بين شعر المتنبي وشعر غيره

الموضع الأول :الثبات في أرض المعركة

له[المتنبي] من قصيدة [١] :

لما رأتْ وجهَـــه خيـــولُهم ∴ أقسم باللهِ لا رأت كفلَه

قال ابن وكيع [٢]:ينظر إلى قول بعض الخوارج :

إذا بدا قلتَ مخلوقًا بغيرِ قفا ∴ من تحته سابحٌ ما إن له كفل [٣]

" الضمير في وجهه للفرس ، وضمير أقسم للممـــدوح ، أي لمـــا رأت خيولهم وجه فرسه عند استقباله لهم أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفلـــه " [٤] أي أنه "لما قابلهم بوجهه في حومة الوغى أقسم أنه لا يرجع عنهم حتى لا يبقى منهم أحد "[٥]

---

(١) من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحمداني . (ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان ، تحقيق /مصطفى السقا ،وإبراهيم الأبيـــاري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة–بيروت٣/٢٦٤)

(٢) المنصف ٢/٦٢٤ .

(٣) قبله : يلقاك تحت عجاج الموت مبتسما .. كالغيث والليث إلا أنـــه رجـــل (المنصـــف ، بتحقيق/ عمر خليفة إدريس، ط١ قات يونس –بنغازي ١٩٩٦م ،ص ٦١٢ .ولم أعثر على البيت في شعر الخوارج .

(٤) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، اليازجي تحقيق /عمر فـــاروق الطبـــاع ط١ ، شركة دار الأرقم –بيروت ،،ص ٢٧٦.

(٥) ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣/٢٧٢

يؤكد الرجل إصراره على النصر ، وأنه لن يولي إلا منتصرا ، ولن يترك أحدا من أعدائه حينها على قيد الحياة بأن يقسم، فيكون القسم مدعاة لمزيد من ثبات الأقدام في المعركة تقديسا للقسم وخشية الحنث ، للمتنبي –إذن– توظيف القسم في التأكيد .

وله المقابلة بين (رأت وجهه) و (لا رأت كفله) ، واختصار لفظه ، فقد أخرجه في لفظ أرشق من لفظ الخارجي الذي يصف شجاعة الرجل وإقدامه وإقباله فكأن ليس له قفا ولا لفرسه كفل ، وخلا بيت المتنبي من التكرار البين في قول الخارجي (بغير قفا) ، (ما إن له كفل) وإن كان أحدهما للفارس والآخر للفرس ؛ فإنه يترتب على عدم رؤية قفا الفارس ألا يرى كفل فرسه ، ففي أحدهما الكفاية على حين استخدم المتنبي الكناية ؛ فرؤية وجه الفرس يستلزم رؤية وجه الفارس ، وعدم رؤية كفل الفرس يستلزم أن الفارس لن يولي منهزما، فأفادته الكناية إيجازا وتأكيدا وأعطت المعنى مصحوبا بالدليل.

والمقام مباين :الأول مقام يصف الحرب ،والثاني : يعدد خصال الممدوح من شجاعته وسرعة فرسه .

ربما نظر ابن وكيع إلى أن المتنبي أثبت للفرس كفلا ، ونفى رؤيته ، على حين نفى الخارجي عنه الكفل من أصله ، فهو ليس في حاجة إلى نفي الرؤية، وتلك نقطة راجحة للخارجي ، لكن المتنبي فاقه بما ذُكِر سلفا.

وابن وكيع لم يبين أي البيتين أرجح ، لم يقل إلا (ينظر إلى) دون أن يحدد الفرق بين كل منهما.

الموضع الثاني : العذل في السماح

وقال : [١]

وكنتُ أعيبُ عذلًا في سـماحٍ ∴ فها أنا في السـماحِ له عذولُ

قال ابن وكيع[٢] : من قول أبي تمام : [٣]

عطاء لو اسطاع الذي تستميحُه ∴ لأصبح من بين الورى وهو عاذلُه [٤]

أراد المتنبي أن يصف ممدوحه بالإفراط في الجود ، فقال: إنه كان يعيب الملامة في الجود حتى رأى ما رأى من ممدوحه من بذل وسماح، فأتى ما كان يعيب من غيره ، ولامه على إفراطه في العطاء ؛ لأنه فاق كل حد ، وقيل :" لما كثر المطر صرت أعذله على كثرة سماحه " [٥] .

بنى المتنبي كلامه من البداية على أن الأمر تبدل ، والحال تغير ،إذ بدأ بـ(كنت) ،وهو لا يتبدل إلا بمغير قوي، يجعله يعدل عن وجهة نظره الأولى إلى الحال الجديدة إذ التغيير يتطلب مجاهدة للنفس ، وقد كان المغير القوي إفراط ممدوحه في العطاء، ودل على أن عطاءه يوجب كثيرا من العذل بصيغة المبالغة (عذول)، وقد كان من قبل يعيب مجرد العذل .

---

(١) من قصيدة قالها أبو الطيب يمدح سيف الدولة وقد عزم الرحيل عن أنطاكية .(العكبري ٣/٣)

(٢) المنصف ٦٢٥/٢.

(٣) ورد البيتان في الوساطة في سرقات المتنبي ص٢٣٤ ، ووافقه العكبري ٨/٤ بقوله : والمعنى من قول الطائي : عطاء لو اسطاع ... البيت.

(٤) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط٤ دار المعارف ، ٢٩/٣.

(٥) معجز أحمد ، لأبي العلاء المعري ، تحقيق /عبد المجيد دياب ، ط ٢ دار المعارف ١٩٩٢م، ٣٥/٣ .

وأبو تمام يقول : إن من ينال وافر هذا الجود يلوم الممدوح على كثرة ما أعطاه –على الرغم من أنه المستفيد–، وعبر باسم الفاعل (عاذل)، وعظَّم العطاء وكثّره بتنكيره ، ويقابله تنكير (سماح) عند المتنبي، لكن أبا تمام بنى عذل من ينال العطاء على الشرط (لو اسطاع) المصدَّر بـ(لو) الامتناعية أي أنه لم يكن بعد ، واستطاعته ممتنعة، لم يجعله في صيغة خبرية مقررة كما فعل المتنبي، وأسند العذل إلى مجهول ، وأسنده المتنبي إلى نفسه، وهذا أدل على تأكده من سعة عطاء الممدوح ، هو نفسه ممن ينال من عطائه ومع ذلك أصبح كثير العذل له على إفراطه.

مفعول اسم الفاعل (عاذل) عند أبي تمام ضمير يعود على العطاء ، فأوقع العذل على العطاء لا الممدوح ، على حين أن المتنبي أوقعه على الممدوح مباشرة ، فدل ذلك على أن عطاءه فاق كل حد حتى استوجب جرأة المادح عليه بعذله إياه ؛ ليحد من فيض سماحه .

كما أن قول أبي تمام (من بين الورى) حشو يفسد المعنى ؛ إذ مقتضى القياس في المدح أن يعذله الناس على عطائه ، وموضع الغرابة والدهشة أن يكون العذل ممن ينال هذا العطاء ،لا أن يختص بالعذل من بينهم .

للمتنبي –أيضا–رد العجز على الصدر في اللفظين يجمعهما الاشتقاق (عذلا) في حشو الصدر و(عذول) في العجز، به يستطيع السامع أن يتوقع القافية، وهو يمثل رابطا من روابط التذكر ، وأداة من أدوات التماسك النصي ، وفيه نوع من التقرير والتأكيد.

هذا ، وقد اختصر المتنبي المعنى في لفظ أقل من لفظ أبي تمام ، إذن اختلفت صورة المعنى ، فأنى يكون المتنبي سارقا!؟.

الموضع الثالث : التطلع للقبس من شرف الممدوح

وقال المتنبي :

وكلُّ شواةِ[١] غطـــريفٍ تمنَّى ∴ لسيرِك أن مفرقَها السبيلُ [٢]

قال ابن وكيع :"يشبه قول أبي تمام : [٣]

مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ ∴ غداةَ ثوَى إلا اشتهتْ أنها قبرُ [٤]

هذا من إخراج معنى من معنى ، احتذى عليه ، وإن فارق ما قصد بـــه إليه" [٥]

معنى المتنبي أجود ، ولفظه أرشق ، إذ الســـادة الشـــرفاء يتمنـــون أن مفارق رؤوسهم طرقا لسيره ، وهذا يعني أنه فاق جميع السادة.

أما أبو تمام فلم يفضل مرثيه على غيره ، فقط وصفه بالطهارة ، وأبان عن اشتهاء كل بقعة أن تكون قبره ، وفرق بين تمني السادة الأحيـــاء أن تكـــون رؤوسهم طرقا يدوسها الممدوح ، وبين اشتهاء الأرض الجماد أن تضم جثمانه .

---

(١) الشواة : جلدة الرأس . (الصحاح في اللغة / شوى)

(٢) قال ابن الأفليلي: يريد: أن الطريق تتشرف به، وتأتي على جمع الوجـــوه لـــه. حتـــى أن رؤوس السادة تود أن مفارقها بدل من طرقه، لتزداد شرفاً بسيره فيها، ورفعـــة باقترابـــه منها.(شرح شعر المتنبي- ابن الأفليلي المحقق: د. مصطفى عليّان ،مؤسســـة الرســـالة – بيروت١٩٩٢م ١/١٨٠)

(٣) وافقه على هذا العكبري ٣/٥، والبرقـــوقي (دار الكتـــاب العربـــي – بيـــروت ١٩٨٦م، ٣/١٣٧) بقولهما (وفيه نظر إلى قول حبيب : مضى طاهر ... البيت)

(٤) ديوان أبي تمام، الشنتمري ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ٢٠٠٤م، ٢/٣١٤.

(٥) المنصف في نقد الشعر ٢/٦٢٥.

إن السادة يرون لأنفسهم شرفا في فعل من الممدوح يكون مذلة وإهانة من غيره ، ومن يقبل أن يذل رأسه لأحد ؟ خاصة إذا كان شريفا ، إذن بلغ إكبار السادة لسيف الدولة أن يحبوا كل ما يصدر منه ويتمنوا معاملته ولو على حساب كرامتهم .

وفي إسناد التمني إلى الشواة مجاز عقلي علاقته الجزئية ، فالرأس أعلى جزء من البدن وأشرفه ، جعلها تتمنى أن تكون مفارقها طرقا للممدوح ، والمتمنِّي على الحقيقة أصحابها ، وفيه مبالغة مفادها أن كبار القوم وسادتهم يرغبون في أن يذلوا رؤوسهم له تشرفا بمروره في مفارقها ، فماذا بلغ هذا الممدوح من المكانة ؟ لابد أنه بلغ مكانة تفوق كل السادة الشرفاء.

ولتخصيص سير الممدوح بهذه الأمنية يقدم الجار والمجرور (لسيرك) على متعلقه فيفيد القصر ، فهي تتمنى أن تكون مفارقها السبيل لسير الممدوح وحده لا لأي شيء آخر ، ولا تقبل ذلك الفعل إلا لسير الممدوح دون سواه .

والدلالة على العموم صريحة عند المتنبي (كل شواة غطريف ..) ، مستفادة من وقوع النكرة في سياق النفي عند أبي تمام (لم تبق بقعة..)، وفي معنى شرف الممدوح عول أبو تمام على الدلالة القريبة(مضى طاهر الأثواب) فقدم سبب اشتهاء البقاع أن تكون قبره ، وهو شرفه اللازم عن طهارة أثوابه ، فقد أسند إليه طهارة الأثواب مباشرة، أما المتنبي فعول على الدلالة الضمنية المستلزمة من تمني السادة رؤوسهم طرقا للممدوح ، وترك السبب لتقدير المتلقي واستنتاجه .

نعم لدى أبي تمام مجاز في اشتهاء بقاع الأرض أن تكون قبر مرثيه ، شخص البقاع وعرضها في معرض الأحياء العقلاء، يقابل المجاز في تمني الشواة عند المتنبي ، لكن فرقا بين فعل (التمني) وفعل (الاشتهاء) فالأمنيات أعظم من الشهوات ونيل المشتهَى يحقق غالبا لذة حسية ، على حين أن نيل المتمنَّى يعود

بلذة معنوية، والتمني مطلوبه بعيد أو مستحيل لذا يشتد تعلق النفوس به ، على حين أن الاشتهاء مطلوبه ممكن ، وصياغة الأول مضارعة (تتمنى) ثم حذفت إحدى التاءين وهي دالة على التجدد والاستمرار، والثاني ماض أفاد فقط الحدوث، وأضاف المتنبي السير إلى ضمير الممدوح صراحة (لسيرك) في الوقت الذي لم يضف فيه أبو تمام القبر إلى ضمير المرثي ، إذ لم يقل (قبره) وإنما تركه على إطلاقه ، فلم يخص المرثي بذلك الاشتهاء من الأرض.

وفي كون مفارق السادة سبلا للممدوح إعنات ومشقة لهم ، يخلو منها ضم الأرض جثمان المرثي ، فهم يتمنون هذا وهم على أتم الاستعداد لتحمل عنته وعواقبه بنفس راضية فرحة به .

طبيعي أن تكون الأرض قبرا ، لكن أن تكون مفارق الرؤوس طرقا !! هذا من بديع المتنبي .

هذا ، والجامع بين المعنيين بعيد ، عند المتنبي رؤوس الشرفاء تتمنى مفارقها طريق الممدوح ، وعند أبي تمام بقاع الأرض تشتهي أن تكون قبر المرثي ، فالمتنبي غير الصورة ؛إذ جعل الاشتهاء تمنيا ، ونقله من بقاع الأرض إلى رؤوس السادة ، ومن القبر إلى السبيل ، ومن الرثاء إلى المدح ، فهل تبقى شيء لم يتصرف فيه ؟

الموضع الرابع :الدعاء للمرثي بالسقيا

وقال من قصيدة يرثي : [١]

سقَى مثواكِ غادٍ في الغوادي ∴ نظيرُ نوالِ كفِّك في النوال [٢]

قال ابن وكيع[٣] : قال ابن المعتز :

يا غيثُ سَــقِّ محمـــــدًا ∴ جوادًا عليه مثلما فعـــل

يدعو لها أن تكون أمطار هذا الغادي كثيرة كثرة نوال كفهـا ، فإلحاقـه الغادي بنوال كف المرثية عن طريق التشبيه يستلزم وصف نوالها بالكثرة ، ففيه إدماج ، أدمج في الدعاء بالسقيا وصفَ المرثية ببالغ الكرم والنـوال ، والأمـر نفسه عند ابن المعتز إلا أن بناء البيت من البداية على الفعل (سقى) فيه مبـادرة إلى المطلوب ، والدعاء بصيغة الخبر عند المتنبي أبلغ منه بصيغة الطلب عند ابن المعتز ، ورد العجز على الصدر (نوال .. النوال) أثرى الطاقة الموسـيقية لبيـت المتنبي ، ومثَّل إرصادا للقافية ورابطا من روابط التذكر، وجناس الاشتقاق (غاد ، والغوادي) أعطى ترديدا أضاف تأكيدا ، فالكلام الذي تتردد ألفاظه وتتكرر تتأكـد دلالته وتتقرر .

ودلالة (فعل) في بيت ابن المعتز على الجود والعطاء ضعيفة ، على حين أن دلالة النوال قوية ؛إذ تنتمي إلى الحقل الدلالي نفسه للعطاء والجود ،ففي قوله

---

(١) من قصيدة قالها أبو الطيب يرثي فيها والدة سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين ، وجاء الخبر بموتها سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .(ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبـي البقـاء العكبري ، ٨/٣) .

(٢) سقى قبرك غيث وابل، يكون موقعه في السحاب، موقع نوال كفك في العطاء، وأشار بذلك إلى أن إعطاءها غاية ما يطلبه المتمني في الكثرة.(ابن الأفليلي ١٨٨/١) ،(ديـوان أبـي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ١٣/٣) والدعاء بالسقيا كثير ص١٤.

(٣) المنصف ٦٢٥/٢ .

(كما فعل) تُحِس برودًا في العبارة، لا يناسب ذلك النشاط وتلك الحركة البادِيين في النداء (يا غيث)، والأمر (سق) فكأن نارا شبت في أول البيت خمدت في آخره حتى إن لسائل أن يسأل : ماذا فعل ؟

أما إذا ذهب إلى أن الموازنة في الشطر الثاني (نظير نوال كفك في النوال) ، و (جوادا عليه مثلما فعل) ففيه ما سبق من ضعف الدلالة على الجود في (فعل) وقوتها في (النوال) .

يضاف إلى ذلك اشتمال شطر المتنبي على تصوير خلا منه شطر ابن المعتز هو المجاز المرسل في التعبير بـ(الكف) ، وإن كان كلاهما اشتمل على التشبيه ، حيث شبه المتنبي السحاب الغادي بنوال كف الفقيدة ، وشبه ابن المعتز سقيا الغيث بفعل محمد .

فضلا عن أن الدعاء بالسقيا من العام المشترك الذي كثر استعماله في الشعر العربي فلا يصح ادعاء السرقة فيه .

الموضع الخامس : امتناع نقل الطباع

وقال من قصيدة [١]:

يُرادُ من القلبِ نسـيانُكم ∴ وتأبَى الطباعُ على الناقلِ

قال ابن وكيع [٢]:أنشد ابن الوشاء :[٣]

ومن يجتلبْ خلقًا سوى خلقِ نفسِه ∴ يدعْه وترجعه إليه رواجعُه

قال آخر:

نَهْنَهَ [٤] العـذالَ عنه علمُهم ∴ أنهم لم يملكوا نقلَ الشِّيَم

قال آخر : [٥]

يا أيُّها المتحـلي غيرَ شيمتِه ∴ إن التخلقَ يأتي دونَه الخلقُ [٦]

---

(١) يمدح فيها سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داوود من الأسر ، مطلعها : إلام طماعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل (العكبري ٢١/٣) .

(٢) المنصف ٦٢٦/٢ .

(٣) البيت في الوساطة ص٢٨٠ للأعور الشني وروايته :

ومن يقترف خلقا سوى خلق نفسه ∴ يدعه وتغلبه عليه الطبائع .

ـ وفي ديوانه ص ٢٦وهو أبو منقذ بشر بن منقذ من بني شن من عبد القيس ، شاعر مشهور يُخشى هجاؤه، اشترك في وقعة الجمل في صف علي بن أبي طالب، قتل سنة ٥٠هـ. (مقدمة ديوانه ، صنعة وتحقيق /ضياء الدين الحيدري ،ط١ مؤسسة المواهب – بيروت ١٩٩٩م ص ٥ ومابعدها)

(٤) نهنه : زجر وكف ومنع (اللسان / نهنه)

(٥) قال بالأخذ عنه الحاتمي في الرسالة الموضحة ، تحقيق/ د. محمد يوسف نجم ،ط٢ دار صادر – بيروت ٢٠١٠م ، ص ١٣٤.

(٦) نسب في العقد الفريد للعرجي :

يا أيّها المتحلّي غير شيمته ∴ ومن شمائله التّبديل والملق

ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه ∴ إنّ التخلّق يأتي دونه الخلق

ـ ٣١٩/٢ ط ١ دار الكتب العلمية –بيروت ١٤٠٤هـ ، والعَرْجي من أعيان الشعراء عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي ، وكان أيضا بطلا شجاعا مجاهدا ، اتهم بدم فأخذ وسجن بمكة إلى أن مات في خلافة هشام .(سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٥)

يقول المتنبي " العاذل يريد من قلبي أن يسلاكم ، وقد جرى حبكم فيه مجرى الطبيعة ، وحل فيه محل الخليقة ، والطبيعة لا تنقاد لناقلها ، ولا تتأتى لمخالفها" (١)

قدم المتنبي الجار والمجرور (من القلب) على نائب الفاعل (نسيانكم) ليكون الوقوف عليه مدعاة لأن يسكن أعماق المتلقي ، وليكون حبس الهواء عند الميم الساكنة محاكيا لحال الاستغراب والإنكار المأخوذة على المراد العجيب ، وليجسد ضم الشفتين وإغلاقهما بإحكام ضم قلبه لأحبته وإغلاقه عليهم فلا يبرحونه، هذه الشطرة الأولى تمهد للشطرة الثانية التي حوت المعنى موضع الموازنة .

جاء المعنى عند المتنبي في الشطر الثاني من البيت في جملة هي غاية في السلاسة ؛ حتى صارت مثلا سائرا على الألسنة في كل موقف يتعذر فيه التغيير ، وما ذاك إلا لخفتها البالغة، ووضوح معناها، وإصابتها صميم القصد.

على حين جاء به ابن الوشاء –كما سمّاه ابن وكيع– في بيت كامل يكد اللسان ويثقل على السمع ،فيه حشو معيب (نفسه) ، وركاكة في قوله (وترجعه إليه رواجعه) ولفظه أطول، فأين هو من قول المتنبي ؟ في بيت المتنبي : يراد منه محو طبع اعتاده وجُبِل عليه هو تذكر الأحبة ، وابن الوشاء حديثه فيمن يجتلب خلقا ليس له ويتكلفه.

وعليه، فإن لفظ المتنبي أقل من لفظ ابن الوشاء وأيسر على اللسان ، وخلا من التكرار المعيب الذي عند ابن الوشاء ، علاوة على أنه عكس المعنى .

وقد قال ابن وكيع وغيره فيما هو مقرر في السرقات : من أخذ معنى فكساه لفظا أحسن من لفظه فهو أحق به .لماذا لم يحكم ابن وكيع بأحقية المتنبي

---

(١) العكبري ٢٢/٣ .

ههنا وترك الأمر على غموضه ؟ أأبت نفسه أن تنسب الفضل إلى المتنبي ؟ ألم يقرر – أيضا– أن من عكس المعنى المأخوذ ففعله محمود ؟

بنى المتنبي الفعل (يُراد) للمجهول فأوعز بأن قوة خفية عظيمة تحاول ذلك لكنها لا تنجح ، وأما الآخر فبناه لمعلوم إذ قال (العذال) فإنه نفى عن العذال أن يملكوا نقل الشيم ، وهذا لا يسلم من أن يملكه سواهم من الأحبة مثلا أو غيرهم ، على حين تأبى طباع المتنبي على كل ناقل ، أو لم يملكوا في الماضي ، فربما يتيسر لهم ذلك مستقبلا ، أما الفعل (تأبى) عند المتنبي فيفيد أن إباء طباعه متجدد ومستمر ؛ إذ تبقى مقاومة للتغيير عما جُبِلت عليه.

وأما الثالث: فإنه يحذر من يتخلق بغير خلقه بأنه سينكشف أمره حتما ، إذ يظهر خلقه الحقيقي ، وقد استخدم صيغة (التفعل) الدالة على التكلف والتصنع، واعتنى بالجملة الخبرية التي خرجت إلى غرض التحذير، فأكدها بـ(إن) واسمية الجملة، ووشّاها برد العجز على الصدر (إن التخلق يأتي دونه الخلق) لكن لفظه أطول من لفظ المتنبي، وليس فيه ذلك الإباء الذي للمتنبي ، أي أنه يمكن أن يحدث اصطناع ، لكن الخلق الأصيل أغلب ، وهذا البيت له حكم بيت ابن الوشاء من حيث عكس المعنى. والأقرب إلى بيت المتنبي قول الآخر (نهنه العذال ...) وقد بينا كيف فاقه المتنبي .

وعليه ، فقد فاق بيت المتنبي الأبيات الثلاثة لفظا ومعنى ،كما امتلك تصويرا بيانيا رائعا خلت من مثله ثلاثتها ، هو تلك الاستعارة التي عرضت الطباع في صورة شخص أبيّ له رأيه ووجهة نظره الخاصة التي يرفض معها أن يغير مبدأه ، فهو صاحب القرار وحده يأبى أن ينزاح عنه بفعل الآخرين ، وذلك بإثبات فعل (الإباء) للطباع على سبيل الاستعارة المكنية التي شخصت المعنوي المجرد ، وأبانت عن بالغ تمسك الشاعر بأحبته وعظم تعلقه بهم.

وفي الصورة مزية في إثبات المعنى وتأكيده .

الموضع السادس :سقم العشق مستعذب

قال المتنبي:

وَإِنّي لَأَعشَــقُ مِن عِشقِكُم ∴ نُحولي وَكُلَّ اِمرِئٍ ناحِلِ

قال ابن وكيع [١]: ينظرُ إلى قول القائل:[٢]

وقلت للسّقمِ عُدْ إلى بَدني ∴ أُنساً بشيءٍ يكونُ من سببك [٣]

"يقول: إنه يعشق نحول جسمه، ويأنس باتصال سَقَمه، ويعشق كلّ ناحل لمشابهته إياه في حاله ، والمعنى أعشق نحولي، لأن عشقكم أدّى إليه " [٤].

بنى المتنبي كلامه من البداية على التأكيد ؛ إذ أكد المعنى بـ(إن) واسمية الجملة، واللام ، لينم عن عمق قناعته بالمعنى والعناية بالحكم الذي تضمنته الجملة ، فهو بسبب عشقهم يعشق نحوله ؛ لأن عشقهم سبَّب ذلك النحول ، ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل إنه يعشق كلَّ من أنحله العشق .

وفيما يترتب على العشق عبر الآخر بالسبب (السقم) وعمد المتنبي إلى نتيجته مباشرة (النحول) إذ يترتب على السقم النحول .

وفي قول الآخر (عُد) دليل على أن السقم فارقه زمنا ونعِم بالبرء ، على حين أن صياغة المتنبي دالة على لزوم النحول له دون مفارقة ، ولا شك أنه بذلك أشد صبابة ، وإفراطا في العشق ، وتولها فيه .

---

(١) المنصف ٦٢٧/٢ .

(٢) وافقه محمد توفيق البكري الصديقي في (أخبار أبي الطيب) ونسب البيت إلى ابن الرومي http://www.almotanabbi.com/poemPage.do?pageId=٣٠٣.
لم أعثر على كتابه .

(٣) البيت لخالد الكاتب في (تاريخ مدينة السلام ،٢٥٦/٩) وروايته :

أقول للسقم عد إلى بدني ∴ حبا لشيء يكون من سببك .

(٤) ديوانه بشرح العكبري ، ٢٢/٣

وإن كان يحمد للآخر تنكير التقليل في (شيء) الذي أفاد أن قليلا من حبيبه ليس بالقليل ، وأنه يعظم لديه بعظم جهته ، لكن يؤخذ عليه الحشو (يكون) فلو قال (بشيء من سببك) لأدى المعنى ، وما قصر فيه ، هذا الحشو خلا منه بيت المتنبي ، فليس فيه كلمة زائدة ولا غير متمكنة في موضعها .

علل المتنبي عشقه للنحول بقوله (من عشقكم) ، وعلل الآخر طلبه عودة السقم بقوله (أنسا بشيء يكون من سببك) فعبارة المتنبي أكثر اختصارا ، مع وفائها بالدلالة المقصودة ، عول الآخر على الدلالة الصريحة (أنسا ..) ؛لأنه ليس في صدر بيته ما يومئ إلى سبب طلبه عودة السقم ، فإن صدره مثير للغرابة والدهشة ؛ فما من أحد يطلب السقم ، ولولا وقوف المتلقي على الشطر الثاني لما كان لكلامه معنى ، ولقيل : إنه يهذي، وعول المتنبي على الدلالة اللزومية أي أنه يأنس بكل ما أدى إليه عشق الحبيب ويجد راحة ولذة فيه .

عظم المتنبي حبيبه بضمير الجمع في (عشقكم) على حين أبقى الآخر على الضمير مفردا.

وصورة المعنى عند المتنبي تفيض جرسا وتنغيما ، نتج عن جناس الاشتقاق (أعشق، وعشقكم) ، (نحول ، وناحل) ورد العجز على الصدر الذي أرصد للقافية ، وبهما سلط الضوء على العشق والنحول وجعلهما بؤرة الاهتمام بغية جذب انتباه المتلقي وتركيزه إذ عليهما مدار المعنى ، ولم نجد شيئا من ذلك عند الآخر .

يضاف إلى ذلك أن تجهيل البيت عند ابن وكيع والاختلاف في نسبته عند غيره ، يجعله محل شك، أي أنه لم يصح ثبوته حتى تثبت منه سرقة ، وبيت المتنبي قطعيٌّ النسبة إليه .

الموضع السابع : قسمة الموت العادلة

وقال المتنبي :

بِضَربٍ يَعُمُّهُمُ جائِرٍ ∴ لَهُ فيهِمِ قِسمَةُ العادِلِ

قال ابن وكيع [١] : معناه أن لإفراطه جائر ، ولاستحقاقهم إياه عادل ، ويجوز أن يريد أنه يترك من جنى ومن لم يجن ممن اتفق أنه يدركه مختارا ، أو يعقر الخيل ولا جناية لها ، ويقطع الدروع والجواشن فيصير عادلا ؛ لأنه ساوى بين جماعاتهم مساواة متكافئة ؛ فصار في القسم عادلا،

كما قال البحتري : وللموتِ فيما بينهم قسمةٌ عدلُ [٢]

قال العكبري" والمعنى: أنك بدوت لهم بضرب عمّ جماعتهم، وشمل جُملتهم أبلغ فيهم إبلاغ الجائر، وأفرط إفراط المسرف، وسوّى بينهم تسوية العادل" [٣].

قال البرقوقي: "يقول: إن أكلك إياهم كان بضرب أتى عليهم جميعًا، وأنت وإن بالغت في الضرب وأسرفت إسراف الجائر- الظالم- إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل؛ إذ لم يفلت منهم أحد، وهو معنى بديع" [٤].

---

(١) المنصف ٦٢٨/٢ .

(٢) ديوان البحتري ، تحقيق /حسن كامل الصيرفي ، ط٣ دار المعارف -مصر ١٩٦٣م، ص ١٦١٧ من قصيدة في وصف حرب تغلب ، وذكر ما كان من الفتح بن خاقان في صلح بينهم ، وصدر البيت : إذا ما التقوا يوم الهياج تحاجزوا ...

(٣) شرح العكبري ٢٧/٣ وقبله: فَلَمّا بَدَوتَ لِأَصحابِهِ رَأَت أُسدُها آكِلَ الآكِلِ.

(٤) البرقوقي ١٥٨/٣ .

يبين المتنبي عن شدة الممدوح على العدو ، وعدله بتحقيق مراد الله فيهم ، فيقول : إنه شملهم بضرب شديد سوى بينهم فيه ، فلم يفلت منه أحد لذا كان قسمه عادلا .

في قوله (ضرب جائر) استعارة مكنية خيلت الضرب شخصا يُعمل سطوته في العدو ، لا يرحم واحدا منهم ، إذ حذف الشخص ورمز له بشيء من لوازمه وهو (جائر) .

وفي اتصاف الضرب بالجور والعدل مفارقة بديعة لافتة لانتباه المتلقي ، إذ كيف يجمع شيء بين ضدين !؟

قول البحتري خلا من مفارقة الجمع بين الجور والعدل لموصوف واحد ، وبالتالي خلا من الحسن البديعي للطباق بينهما.

جعل المتنبي الضرب الجائر أداة ممدوحه لأكل عدوه الذي جنوده أسود ، فقد فاق ممدوحه الأسود وتغلَّب عليهم.

ووصف الضرب بجملة (يعمهم) مقدما إياها على الوصف المفرد (جائر) ليمهد لفكرة القسمة العدل التي أتى بها في الشطر الثاني ، فهي قسمة عدل لأن الضرب عمهم ولم يفرق بينهم ، مما أدى إلى تأكيد المعنى في ذهن المتلقي .

والموازنة بين قول المتنبي (للضرب فيهم قسمة العادل) وقول البحتري (للموت فيما بينهم قسمة عدل) شخص المتنبي الضرب وشخص البحتري الموت ؛ إذ عُرِض كل منهما في صورة المقسِّم ، ووصفُ القسمة بالمصدر (عدل) عند البحتري أبلغ من إضافتها إلى الوصف (العادل) عند المتنبي ، عبر المتنبي بالسبب (الضرب) على حين عمد البحتري إلى المسبب (الموت) فأعطى النتيجة مباشرة ، فكفته أرجح من هاتين الجهتين ، وللمتنبي مزية الاختصار ، والمفارقة البديعية بين (جائر) و (العادل).

الموضع الثامن :إدراك الثأر مهما عز وامتنع

وقال المتنبي:

إذا طَلَبَ التَبْلَ لَم يَشــأَهُ [١] ∴ وَإن كانَ ديناً عَلى ماطِلِ

قال ابن وكيع [٢]:يشبه قول ابن الرومي :[٣]

فاقتضيناهم الديون وقِدْما ∴ لم يفُتْنا بها الغريم المُلِطُّ [٤]

"التبل: الثأر والّترة. ولم يشأهُ: لم يفُته. والماطِل: الذي يمطُــل بالــدّين، ولم يسهل عليه أن يؤدّيه.

المعنى: يقول: إذا طلب ثأراً لم يفته، وإن كان ممتنعــاً أمــره، متعــذّراً موضعه، وقوله: (وإن كان دينا) ضربه مثلاً.

والمعنى: أنه يدرك الثأر وإن بُعد العهد".[٥]

جاءت صياغة المتنبي مبنية على الشرط المتــيقن (إذا طلــب ...) إذا طلب ثأرا ناله حتما ، وصياغة ابن الرومي خبرية مقررة ، فهو يخبــر أنــه تــم بالفعل أخذ الثأر (فاقتضيناهم الديون ..) مصدرا البيت بتلك النتيجة، ثم ذيل بقوله (لم يفتنا بها ...) أي كان الأخذ بالثأر على الرغم من المطل ، وهــذا يــنم عــن

---

(١) وشآه يشآه شأوا إذا سبقه (لسان العرب / شأو) .

(٢) المنصف ٦٢٨/٢ .

(٣) لم يوافقه على ذلك أحد من أصحاب الشروح ،ولم يأت في سرقاته في الوساطة .

(٤) ديوان ابن الرومي ، من قصيدة يهجو فيها خالدا القحطبي ١٤٣٣/٤ تحقيق د. حســين نصار ط ٣ دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث–القاهرة ٢٠٠٣م ، قــدما: أي في الزمان القديم (معجم المعاني الجامع /قدم) ،المِلْط: الخبيث من الرجال الذي لا يدفع إليه شيء إلا ألمأ عليه وذهب به سرقا واستحلالا (اللسان /ملط)

(٥) ديوانه بشرح العكبري ٢٨/٣ .

قدرتهم على إنجاز ما يريدون مهما اعترضهم من عقبات ، ومهما كانت قوة الخصم .

وقد حوى كلا البيتين صورة بيانية ، إذ شبه المتنبي الثأر المتعذر بدين الماطل (وإن كان دينا على ماطل) فعرض صورة لصعوبة الثأر وتعذره ؛ إذ يُطلب ممن لا يُدرك عنده ثأر ، وعلى الرغم من ذلك فإن صاحبه قادر على أن يثأر، وارتقت الصورة في بيت ابن الرومي إلى الاستعارة ،فلم يصرح بالثأر وإنما استعار له (الديون) استعارة تصريحية أصلية ، ثم رشحها بقوله (لم يفتنا ...) .

وفي الأول يحتمل أن تكون منعة الممدوح وقومه لم تجعل لغيرهم الجرأة عليهم حتى يكون لهم ثأر عند آخرين ، لذلك استعمل (إذا) التي هي ظرف لما يستقبل من الزمان ، أي إن حدث ذلك مستقبلا _ وهو أمر مشكوك فيه – فإنه قادر على أخذ الثأر مهما بلغت قوة خصمه وحيطته .

أما ابن الرومي فقد كان له ثأر بل أكثر عند آخرين وتم الاقتضاء ، فليس لقومه تلك المنعة التي لممدوح المتنبي لذا تجرأ غيرهم على قتلهم .

وعليه فالتشبيه أنسب في موضعه عند المتنبي لأنه يتحدث عن مستقبل، والاستعارة أنسب في موضعها عند ابن الرومي لأنه يتحدث عن شيء قد كان .

واستعمال (إن) الدالة على الندرة يدل على أنه من النادر ومن المشكوك فيه أن يجرؤ أحد على مماطلة الممدوح عند المتنبي ، والجملة تذييل مؤكد لمعنى الشطر الأول ، يقابلها جملة (لم يفتنا ..) لابن الرومي والفرق بينهما الدلالة المستقبلية عند المتنبي والماضوية عند ابن الرومي .

وعليه فبيت المتنبي أمدح .

الموضع التاسع : الممدوح قائد الكتيبة وعنصرها الفعال

وقال المتنبي :

أَمامَ الكَتيبَةِ تُزهـــى بِهِ ∴ مَكانَ السِنانِ مِنَ العامِلِ

قال ابن وكيع [١]: قال ابن الرُّومي:[٢]

فهم أنابيبُ رُمحٍ أنتَ عامله ∴ لا بَلْ سِنانٌ طريرٌ فوقَ عامِلِهِ[٣]

"هو قُدّامَ جنود جيشه الذين يفتخرون به، بمكان السنان من الرمح. يريد: أنه يتقدمهم كما يتقدّم السنانُ الرمحَ" [٤].

إن كان لابن الرومي فضل السبق أو التقدم الزمني ، فقد بزه المتنبي بفضل الصياغة والتصوير ،إذ جعل الكتيبة تفتخر بممدوحه ، ويُظهر فرسانها نشوة الاعتزاز به ، دون أن ينتقص منهم ، ونصَّ من صدر البيت بل من أول كلمة فيه على تقدمه (أمام الكتيبة) فهو متقدم شجاع يعرف فرسانه قدره ، ويقدرون مكانته ، ويتيهون فخرا به ، وله الفعل والبطش كما يكون بالسنان الطعن والفتك .

أما ابن الرومي فقد قلل من شأن أنصار ممدوحه ، وبنى عليه بيته من صدره (فهم أنابيب رمح) ، وجعله أولًا عامل الرمح (أنت عامله) ، ثم أضرب إلى السنان (لا بل سنان طرير) وعمد المتنبي إلى السنان مباشرة ، وصرح ابن

---

(١) المنصف ٦٢٩/٢ .

(٢) وافقه محمد توفيق البكري الصديقي .

(٣) ديوان ابن الرومي ١٩٩٣/٥ يمدح إسماعيل بن بلبل ، وقبله :

أصبحت في الذروة العلياء من شرف ∴ منازل الناس شتى في أسافله

وسنان مطرور وطرير :محدد (أساس البلاغة/طرر ص٢٧٨)

(٤) شرح العكبري ٢٩/٣ .

الرومي بالفوقية المنقصة من قدر أنصاره مرة أخرى بقوله (فوق عامله)، وكلما كان المدح بعيدا عن تجريح الآخرين ، كان أفضل وأكثر نزاهة ، يثبت الفضل لممدوحه دون تعرض لغيره ، فيكون باعثا لنشوة الممدوح دون أن يثير الضغائن عليه .

وجاء لفظ المتنبي مختصرا معادلا بين شطريه في عدد الكلمات (أربع في كل شطر) ، على حين طال لفظ ابن الرومي ، وزاد عدد كلمات الشطر الثاني على الأول ، مما جعل بيت المتنبي أرشق ، وأعذب على اللسان ، وأخف على الآذان .

كلا البيتين حوى صورة تشبيهية، تمثلت في تشبيه مكان الممدوح من الجنود بمكان السنان من عامل الرمح ، لكن جاءت صياغتها أفضل عند المتنبي ، ملتحمة الطرفين في جملة واحدة ، وتعددت الجمل في بيت ابن الرومي.

ربما تكون لابن الرومي مزية في وصف السنان بـ(طرير) مما يزيد في مضاء ممدوحه ونفاذ عزمه .

فلئن كان المتنبي أخذ المعنى من ابن الرومي ، فقد أخرجه في صورة أحسن ، وهذا مستحسن عند نقادنا القدامى ، فلا عيب عليه ، إذ اتسعت قراءاته ، ووعى معاني السابقين ، فلا ضير أن تنفعل بها نفسه فتفيض على لسانه في ثوب من نسجه وصورة هي أبهى وأزين ، وأحق بأن تستولي على إعجاب القلوب .

الموضع العاشر : عزيمة نافذة وعلو فائق

ومن قصيدة :

وعزمةٌ بعثتها همّـــةٌ زحـــلٌ ∴ من تحتها بمكانِ التّربِ من زحلِ [١]

قال ابن وكيع [٢]:ولمحمّد بن داود الأصفهاني [٣]:

تراهُ الثريّا فوقَها مثل ما ترى ∴ بنو الأرضِ أشباحَ النجومِ المواثلِ

وقال ابنُ الرُّومي:

ورآهُ العيّـــوق في فلكِ المجـــ ∴ ـدِ فأمسى يخالُه العيّوقا [٤]

ومعنى بيت المتنبي" قرب عليه مرامه عزمة بعثتها همة عالية، بحيث زحل تحت هذه الهمة بمكان التراب من زحل! أي أن ما بينها وبين زحل من البعد مثل ما بين زحل والتراب" [٥] .

يتحدث عن نفاذ عزيمة الممدوح وعلو همته التي قربت مراده ، فيقول : إن تلك العزيمة النافذة مبعثها همة عالية ، تعلو عن زحل علو زحل عن الأرض .

---

(١) من قصيدة قالها أبو الطيب في سيف الدولة عند مسيره نحو أخيه ناصر الدولة لنصرته، لما قصد معزّ الدولة إلى الموصل في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.(العكبري ٣٥/٣)

(٢) المنصف ٦٢٩/٢ .

(٣) محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني كان عالما أديبا ، شاعرا ظريفا ، تصدر للفتيا بعد والده ، مات سنة ٢٩٧هـ. (تاريخ مدينة السلام ١٥٨/٣) ، وللمزيد انظر سير أعلام النبلاء ١٠٩/١٣ .

(٤) ديوان ابن الرومي ١٦٧١/٤ من قصيدة في أبي سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت .

(٥) معجز أحمد للمعري ٧٢/٣ .

إذا ما جئنا إلى تفاصيل الصياغة نراه قد استخدم تنكير التعظيم في (عزمة) و(همة) ثم وصف الهمة بقوله (زحل من تحتها...) فاجتمع لهمته علوان: علو ما بين الأرض وزحل ، وعلو ما بينها وبين زحل ، فهو علو مضاعف ، وتلك مبالغة في الوصف جسدت الهمة، وعرضتها في معرض المادي المحسوس الذي يحدد له مكان ،عن طريق التصوير البياني ،إذ أثبت لها من لوازم الماديات المكان (من تحتها) على سبيل الاستعارة المكنية .

أما محمد بن داود فقال :إن علوه (الممدوح) عن الثريا ذلك النجم المعروف مثل علو النجوم عن الأرض ، فهو يصف ممدوحه لا عزمته أو همته ، وهذا فرق بين المعنيين ، فالمتنبي عول على وصف الهمة ، وعلوها يلزم عنه علو صاحبها ، على حين وصف الآخر الممدوح ، وليس بالضرورة أن يتبع ذلك وصف همته بالعلو ، فقد يكون عالي المكانة دون الهمة ، أو عالي المكانة فاتر العزيمة ، فبيت المتنبي أمدح .

حوى بيت الأصفهاني صورتين : الاستعارة المكنية في (تراه الثريا) شبهها بشخص ، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه هو (ترى) فنجم الثريا نفسه يعترف بأنه فوقه لا مادحه ، فالرجل قد بان فضله وعلت مكانته حتى سلم بها غير العقلاء ، بل اعترفوا بأنهم دونه ،وفيه من المبالغة ما فيه، والتشبيه (تراه مثل ما ترى بنو الأرض ..) فالعلو مضاعف عنده أيضا، وقد زاد في بعد مكانته عن طريق التعبير بـ(أشباح) إذ الشبح ما يُرى من بعيد ولا تتبين معالمه، لم يقل (مثل ما ترى بنو الأرض النجوم) وإنما أوقع الفعل على أشباحها ؛ ليزيد في البعد.

وأما ابن الرومي : فيجعل العيوق يشك في أمر نفسه ، حينما يرى علو الممدوح ، إذ يخاله العيوق ، ويذهل عن نفسه، وجعل المجد فلكا يسبح فيه الممدوح عن طريق التشبيه الذي أضيف فيه المشبه به (فلك) إلى المشبه (المجد)

ليدل على عظم مجده ورحابته، ولم يخلُ بيته من الاستعارة المكنية أيضا في إثبات الرؤية للعيوق ، وهو أيضا يصف الممدوح لا همته.

ومن الواضح أن مبالغة ابن الرومي أضعف المبالغات الثلاث : فهمة الممدوح عند المتنبي أبعد وأعلى من زحل ، وممدوح الأصفهاني فوق الثريا ،على حين أن ممدوح ابن الرومي في محل العيوق لم يبرحه ولم يزد عليه .

وثمة نقطة ضعف أخرى في بيت ابن الرومي هي استعماله فعل الشك (يخاله)، فممدوحه لم يجاوز محل العيوق ، ووصوله هذه المكانة لم يبرأ من الشك ، ذلك أن " حسب [وأخواتها من أفعال الظن] تستعمل إن بعد التشبيه لما في الحسبان من الإشعار بعدم التحقيق والتيقن " [(١)]، وساق المتنبي بيته مساق الواثق المتأكد ، بتعبيره بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام (زحل من تحتها...).

وعليه، فقد تشابه بيت المتنبي مع بيت الأصفهاني أكثر منه مع بيت ابن الرومي .

ويبقى للمتنبي فضل التعبير بالجملة الاسمية ، ووصف الهمة بالعلو الذي يلزم عنه علو الممدوح، والحسن البديعي الناتج عن رد العجز على الصدر في اللفظين المكررين اللذين وقع أحدهما في آخر الصدر ، والآخر في عجز البيت محتلين مكانين من الأهمية بمكان (عروض البيت وضربه) فقد أراد المتنبي أن يضع (زحل) في بؤرة الاهتمام لينوه بعلو همة ممدوحه التي فاقت علو هذا الكوكب ، إذ ضم إليه مفارقة (التحتية) على الرغم من علوه ، على نحو يثير العجب والدهشة ، ويحقق مبالغة قوية .

---

(١) مختصر السعد ، ضمن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية –بيروت ٣/٣٩٠.

كما نلمح التقابل الخفي بين (تحت) و (الترب) من جهة بدلالتهما علـــى السفل وبين(زحل)الذي يستلزم العلو ؛ ليتضح الضد بمقابله..

أرأيت كيف صنع المتنبي بالمعنى ؟ وكيف صور!؟

نعم نجد رد العجز على الصدر عند ابن الرومي أيضا ، لكن لفظه الأول لم يحل ذلك المكان الرفيع الذي حله الأول عند المتنبي ، إذ وقع في حشو الصدر، ولما جاء ليقع موقعا متميزا في العجز أضعفه وقوع فعل الشك عليه ، فأضـــحت دلالته باهتة غير مقطوع بها .

وبذلك ثبت للمتنبي فضل الصياغة ، وعمق المبالغة ، فليس بســـارق ؛ لأن صورة المعنى عنده مختلفة عن صورتيه عند الآخرَيْن.

الموضع الحادي عشر :حلل القصيد تزدان بمدحه

وقال المتنبي :

إذا خَلَعتُ عَلـــــى عِرضٍ لَهُ حُلَلاً ∴ وَجَدتُها مِنهُ في أَبهى مِنَ الحُلَلِ

قال ابن وكيع : " قال أبو تمام:

حتى اكتسى من مديحي فيه واشية ∴ تشي فرحنا جميعا نسحبُ الحللا

وبيتُ المتنبي أمدح" (١).

يقول المتنبي "إذا خلعتُ عليه حُلّة من شِعري، وألبسته ثوباً من مدحي، وجدت تلك الحُلّة قد تزينت بفضله، وذاك المدح متشرّفاً بقدره، فهو يرفع الشـــعر فوق رفعته له، ويزين المدح أكثر من تزينه به.

والمعنى: أن عِرضه أحسنُ من الحُلل، وأن المدح يتزين به" (٢) .

قال المعري:" أراد بالحلل: القصائد. يقول: كسوته مدائح مـــن شـــعري، لأجمله بحسن ذكره في الآفاق، فاكتسبت منه مدائحي جمالا، ولبست من عرضـــه حللا وكمالا، فصار هو الذي ينشر شعري" (٣) .

أنصف ابن وكيع في قوله (وبيتُ المتنبي أمدح) لكنه لم يفصِّل بم كـــان أمدح ولماذا ؟ يتضح ذلك فيما يلي :

يقول : إن شعره يتزين بمدح الرجل أكثر من تزين الممـــدوح بالشـــعر، فإذا مدحه وخلع على عرضه قصائد هي الحلل في زينتها وزخرفها، تزينت تلـــك القصائد فصارت أبهى وأفخم من الحلل، وقد بنى بيته على الشرط المفيد اليقـــين

(١) المنصف ٦٢٩/٢ .
(٢) شرح العكبري ٤٠/٣ .
(٣) معجز أحمد ٧٦/٣ .

(إذا) الذي علا على محاولة أبي تمام التدريجية لنسج الواشية (حتى اكتسى من مديحي واشية).

ونجد المتنبي قد استعار الحلل للقصائد الحسان استعارة تصريحية أصلية، معبرا بالجمع النكرة، مشيرا به إلى استحقاق الممدوح عن جدارة المدح بقصائد كثيرة لا قصيدة واحدة على نحو ما في بيت أبي تمام (واشية) فالجمع والتنكير أفادا التكثير.

لبس أبو تمام–بمدحه الرجل–حلةً ، إذ تزين بمدحه إياه (فرحنا جميعا نسحب الحللا) هذه نتيجة مدحه جاءت مساوية له، ونتيجة مدح المتنبي زادت عليه وعلت (وجدتها منه في أبهى من الحلل) وقد استوفى المتنبي المعنى في لفظ أقل من لفظ أبي تمام ، وزينه بمحسن بديعي هو رد العجز على الصدر الذي خلا منه بيت أبي تمام .

وقد نص المتنبي عما صارت به القصائد أبهى من الحلل بقوله (منه) أي بسبب الممدوح صارت القصائد أحلى وأفخم من الحلل ، وقد خلا من ذلك بيت أبي تمام على الرغم من أنه لم ينكر نفسه ومدحه في الشطر الأول (حتى اكتسى من مديحي فيه واشية ..) بإضافة المديح إلى ضمير المتكلم ،وقوله (واشية) بصيغة اسم الفاعل أي أن قصيدته هي فاعل التزيين في ممدوحه ، وليته اكتفى بذلك ، بل أتبع مؤكدا بالفعل (تشي) وكأنه يمن عليه ، وسوى بينه وبين ممدوحه بقوله (فرحنا جميعا .....) مع أن مقام المدح يستوجب وضع الممدوح في مكان أعلى من المادح.

عِرْض ممدوح المتنبي–وحده–يستوجب حللا كثيرة من المدح ؛ فقد عبر بالجمع مضيفا إليه التنكير ،فما بالك بباقي صفاته، وسائر ما يتعلق، وممدوح أبي تمام بكل ما له من صفات ومتعلقات قنع له أبو تمام بحلة واحدة ، فمبالغة المتنبي أقوى .

وفرق بين (خلعت) عند المتنبي و (اكتسى) عند أبي تمام ، الأول أهداها لممدوحه؛ إذ الفاعل الشاعر ، والآخر الفاعل الممدوح وكأنه قد طلب الواشية من المادح ، فجعل ينشد ويستزيده ويزين ويستزيده ، حتى اكتساها.

وقد عبر المتنبي بالماضي في قوله (وجدتها) في جواب الشرط ليدل على تحقق الوقوع فهو أمر متيقن هو على بينة منه ، ستصير حتما في أبهى من الحلل.

وعلى الرغم من ذلك فإن لجملة أبي تمام (نسحب الحللا) جمالًا يُحس ولا يبين عنه الوصف ؛ إذ تصور ما اتصف به المادح من زهو وخيلاء ترتب على مدحه الرجل ، فهي حلل ضافية من الشرف يجرر أذيالها مباهيا بها، كما أن في التعبير بالمضارع استحضارًا للصورة .

لكن الصورة الكلية للمعنى أبهى عند المتنبي منها عند أبي تمام .

هذا ، والبيت ليس وثيق النسب لأبي تمام ، إذ لم يُعثر عليه في ديوانه ، مما يكون مدعاة للقول بتقوُّله عليه ، وبه يبطل ادعاء الأخذ ، وقد عد البديعي بيت المتنبي من بدائعه في وصف الشعر [١] ، وهذا يعني أنه لم يسبق له مثال .

---

(١) الصبح المنبي ٤١٩ .

الموضع الثاني عشر :الدعاء بموافقة القدر لرغبات الممدوح

ومن قصيدة [١]:

وأراكَ دهرُك ما تحاولُ في العِدا ∴ حتّى كأنّ صروفَه أنصارُ

قال ابن وكيع [٢]: ينظر إلى قول ابن الرومي:

فلا زال ما تختارُه وتحبه ∴ به من القضاءِ المقدّر [٣]

قال ابن الأفليلي: "وأراك دهرك في عدوك ما تحاوله من كبته، وتكفل لك فيه بما تتمناه في أمره، حتى كأن صروفه تنصرك ..... وخطوبه تعينك" [٤]

أصل المعنى : جرى القدر بما تريد

يدعو المتنبي لممدوحه أن يعينه الدهر على أعدائه ، ويريه فيهم مايريد حتى تصير أحداث الدهر أنصارا له وأعوانا على أعدائه.

وقد استعمل في الدعاء صيغة الخبر تفاؤلا بتحقق الإجابة، واختار الفعل (أراك) لتقر عينه وتهدأ نفسه بمعاينة ما يُجِله الدهر بأعدائه ، فما راء كمن سمع، وعبر بـ(ما) الموصولة ؛ ليستوعب إبهامها كل ما يحاول في أعدائه دون تحديد مراد بعينه ، فقد أفادت العموم ، والتعبير بالمضارع (تحاول) أفسح المجال ليحقق الدهر ما يتجدد من محاولاته ومراده في العدا ، ولا زال يريك ويتدرج في ذلك من قوي إلى أقوى حتى تصبح صروفه أنصارا قد جندها لك وجعلها في صفك ، لذا استخدم (حتى) الدالة على التدرج والترقي ، والصورة التشبيهية بأقوى أدوات التشبيه (كأن) ، وتنكير (أنصار) الدال على التكثير ، وزين بيته بالمطابقة بين (العدا) و (أنصار) بأصالة في التركيب واستدعاء من المعنى.

---

(١) يمدح سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ (العكبري ٨٦/٢)
(٢) المنصف ٦٣٠/٢ . لم يقل بأخذه من ابن الرومي في هذا الموضع غير ابن وكيع.
(٣) أخل به ديوانه .
(٤) شرح شعر المتنبي ٢٢٩،٢٢٨/١ .

وإسناد الفعل (أرى) إلى الدهر مجاز عقلي علاقته الزمانية، حقيقتــه : أراك الله في دهرك ، وقد أفاد المبالغة وكأن الحدث قد ملأ الدنيا حتى صدر مــن الدهر ، كما أن التعبير بالدهر من بين مفردات الزمن يعطي معنى الامتداد ، ليبقى يرى في عدوه ما يريد أبد الدهر ، غير مقصور على زمن دون آخر.

أما بيت ابن الرومي فربما كان المعنى فيه أعم منه عند المتنبــي ، لأن المتنبي قصر حديثه على ما يخص الأعداء، على حين تناول ابن الرومــي (مــا يختاره ويحبه) على العموم ، لكن الصياغة والصورة التي خرج فيها المعنى لــم تبلغ روعة صورة المتنبي ولا معشارها، إذ يدعو ألا يزال ما يختاره ويحبه مــن القضاء المقدر ، وأول ما يعاب منه الحشو في (تختاره وتحبه) إذ مــن الممكــن الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر ، فما يختار الشخص شيئا إلا لأنه يحبه ، وحب الشيء دافع اختياره، وعطف (تحبه) على (تختاره) من عطف الشيء على نفسه، كما خلا بيته من التصوير البياني والحسن البديعي .

ثم إن المرء أقوى تعلقا بالنصرة على الأعداء مما سواها مما يختار، إذ بها يسلم من منازعتهم ، ويحقق الزهو ، وتصفو له الحياة ، وتخلو من كدرهم ، لذا عمد إليها المتنبي ، وما سواها دونها .

لم يجعل ابن الرومي أحداث القضاء تدافع عن ممدوحه، وتــذب عنــه، وتنصره على نحو ما جعلها المتنبي ، فما أتى به ابن الرومي في بيــت كامــل ، عبر عنه المتنبي في شطر ، وشغل الشطر الثاني بفائدة جديدة تعطينا مبالغة ، إذ ترقى من رؤية ما تقر به عينه في أعدائه إلى نصرة صروف الدهر له ، والتشبيه هنا شخص (الصروف) وأضفى عليها الحيوية والحركة ، وصــورها فــي جهــد وعمل دؤوب لنصرة الممدوح .

إذن ، نظرُ المتنبي إلى قول ابن الرومي –الذي ادعاه ابن وكيع وحــده دون غيره من أصحاب الشروح– باطل ؛لأن صورة المعنى ههنــا تختلــف عــن صورة المعنى هناك .

الموضع الثالث عشر :عقاب الممدوح وعطاؤه

وقال المتنبي :

وَإذا تَنَكَّرَ فَالفَناءُ عِقـــابُهُ ∴ وَإذا عَفا فَعَطاؤُهُ الأَعمارُ

قال ابن وكيع [١]: ينظر إلى قول أبي نواس:

يعطي ويردي الناكثين كأنّما ∴ في كفّه الأرزاقُ والآجالُ

يقول المتنبي " وأنت من يقترن الفناء بعقابه إذا غضب، وتُستدام الحياة بعفوه إذا رضي، فسخطه هلك، ورضاه نجاة " [٢]

ممدوح المتنبي يعاقب بالفناء إذا سخط ، فإذا عفا اســتديمت الحيــاة ، فكانت الأعمار عطاءه ، يوازن بين حالي ممدوحه في الرضا والغضب، فيسند إليه سلب الحياة وهبتها ،فهو قادر على أن يسلب حياة من يسخط عليه، فإذا ما عفــا وهبه حياة أمدت في عمره .

أما ممدوح أبي نواس فيعطي من يرضى عنه ، ويسلب حياة من ينكــث عليه ، فهو يملك التصرف في الأرزاق والآجال .

كلا الشاعرين أتى بمبالغة وصلت حد الغلو ،فالأرزاق والآجال والحيــاة والموت بكف الرحمن وحده، لم يوكلها إلى أحد من خلقه مهما بلغ شأنه ، لكنهــا مبالغات الشعراء ورغبتهم في إطراء ممدوحيهم ؛لينالوا عطاءهم ، ربمــا قــرب مبالغة أبي نواس (كأنما) التي لم تجعل الأرزاق والآجال في كف الممدوح علــى القطع ، فهي تقوم مقام (يكاد) من الألفاظ التي تسوغ المبالغة وتجعلها مقبولــة ، على حين خلا منها بيت المتنبي .

---

(١) المنصف ٦٣٠/٢ .لم يقل به غير ابن وكيع.

(٢) شرح شعر المتنبي ، ابن الأفليلي ٢٢٩/١ ، والبيت في العكبري ٨٧/٢ .

اقتصر بيت المتنبي على إعطاء الأعمار وسلبها ، وعم العطاء عند أبي نواس ليشمل الأعمار وغيرها من الأموال ونحوها، إذ قال (يعطي) فأطلق الفعل عن التقيد بمفعول بعينه قصد التعميم في المفعول ، ثم دل على تنوع العطاء في الشطر الثاني ما بين أرزاق وآجال .

ومن جهة أخرى قيد الفعل (يردي) بمفعول (الناكثين) ولم ينص على من يعطيه، وربما أخل هذا بالصياغة، إذ يوقع في لبس ، لكن عند التدقيق يفهم أنه إذا كان الردى للناكثين فالعطاء للمحالفين والأنصار ، ولو أنه أطلق الفعلين لكان أبلغ ؛ إذ يجعل بيده العطاء والردى على الإطلاق دون اختصاص بمفعول بعينه، لكن يبدو أنه أتى بـ(الناكثين) ليقيم الوزن .

هذا اللبس والخلل في الصياغة خلا منه بيت المتنبي .

أما عبارة أبي نواس التي بز بها المتنبي فهي (في كفه الأرزاق والآجال) هذه الجملة –وإن كانت غلوا قربه بـ(كأنما)– جمعت لممدوحه ملك التصرف في الأرزاق والآجال جميعا متمكنا منها أتم ما يكون التمكن؛ فالكف هي موضع القبض والبسط والإطلاق والغل وكامل التصرف، وقد عضد ذلك وقواه صيغة الجمع ، والتعريف بـ(أل) الجنسية .

يبقى للمتنبي فضل اختصار اللفظ ، وحسن الصياغة، وخلوها من اللبس، وجمال التركيب ، والمقابلة بين الشطرين ، فقد جمع بين معان متوافقة في الشطر الأول (التنكر والفناء والعقاب) ثم أتى بما يقابلها في الشطر الثاني(العفو والعطاء والأعمار)، وله تساوي الجملتين في عدد الكلمات، وقد علت مقابلته على الطباق الجزئي عند أبي نواس بين (يعطي) و(يردي) فالإعطاء مقابله الصريح الأخذ أو السلب، واقتصر (يردي) على سلب الحياة فقط على حين يعم الإعطاءُ كلَّ شيء.

قدم المتنبي جانب السلب (وإذا تنكر...)، وأخر جانب العطاء (وإذا عفا ...) ليلقي في القلوب مهابة ممدوحه أولًا ، وليوعز إلى ضرورة تجنب ما يسخطه، وعكس أبو نواس فقدم الإعطاء حتى إذا ما أطمع في عطائه فاجأ المتلقي بإهلاكه المخالفين (ويردي الناكثين) ، ففي كليهما توفر عنصر المفاجأة ، لكن المفاجأة بالعفو تدخل الأريحية والسرور على النفس ، بخلاف المفاجأة بالردى تثير الشجن وتكبت المتلقي ، لذا كان ترتيب المتنبي للجانبين أجود من ترتيب أبي نواس .

وبزت الجملة الاسمية(الفَناءُ عِقابُهُ) و(عَطاؤهُ الأَعمارُ) عند المتنبي الجملة الفعلية(يعطي) و(يردي)عند أبي نواس بدلالتها على الثبوت والدوام .

وبما أن بيت أبي نواس قد أخل به ديوانه فهو غير ثابت النسب له ، وعليه يبطل قول ابن وكيع (ينظر إلى قول أبي نواس) إذ كيف ينظر إلى ما لا وجود له .

الموضع الرابع عشر :بلى الموت وبلى الحزن

ومن قصيدة :

بِنا مِنكَ فَوقَ الرَملِ ما بِكَ في الرَملِ ∴ وَهَذا الَّذي يُضني كَذاكَ الَّذي يُبلي

قال ابن وكيع [١]: قال ماني الموسوس [٢]:

يا بالياً في الثَّرى من بعـــدِ ميتتِه ∴ سيان أنتَ ومن يبلى من الحَزنِ [٣]

يقول المتنبي: " بنا منك ونحن فوق الرمل –يريد الأرض– ما بك وأنت تحتها ، يريد إنا أموات حُزناً عليك، ونبلى كما أنت ميت تحتهـا تبلـى، وفسـر المِصراع الأوّل بالثاني، فقال الحزن يهزِل ويُبلى كما يبلى الموت" [٤] .

توجه كل منهما بالخطاب للفقيد المرثي مبينا عن حزنه لفقده ، وعظـم مصيبته فيه ، وأنه إن أبلى الفقيدَ الموتُ فقد أبلى الأحياءَ الحزنُ عليه .

استوى الشاعران في التعبير بالمضارع (يضني ، ويبلي)الدال على تجدد الضنى والبلى شيئا فشيئا وحالا بعد حال .

والحق أن قول ماني الموسوس أخف وأعذب لفظا وأسهل وأبعد عما يكد اللسان من قول المتنبي ، وقد خلا من الإبهام الذي عند المتنبي في (وهذا الذي ... كذاك الذي ..) فقد أبان عن الحزن بلفظه بقوله (ومن يبلى من الحزن) وأبان عما يبلي الفقيد بقوله (من بعد ميتته) ، وخلا من التكرار الذي عند المتنبي فـي قوله (بِنا مِنكَ فَوقَ الرَملِ ما بِكَ في الرَملِ)، (وهذا الذي .. كذاك الـذي ..) فقـد كرر ضمير الخطاب ، وكلمة (الرمل) ، واسم الإشارة– وهو من المآخـذ العامـة

---

(١) المنصف ٦٣٠/٢ .

(٢) محمد بن القاسم أبو الحسن ، من أهل مصر ، سكن بغداد في أيام المتوكل ، له شعر رقيق في الغزل ت ٢٤٥ هـ (معجم الشعراء ، المرزباني ، تحقيق/د. فـاروق اسـليم، ط١ دار صادر –بيروت ٢٠٠٥م ، ص ٤٥٠) ، (تاريخ مدينة السلام ٢٨٣/٤) .

(٣) لم أعثر عليه في مجموع شعره .

(٤) شرح العكبري ٤٣/٣ .

على المتنبي- ، والاسم الموصول ، كما أن التعبير بـ(الثرى) أجود منه بـ(الرمل) إذ هو قريب من الدعاء بالسقيا ؛ في الثرى النداوة والرطوبة، وفي الرمل الوعورة والجفاف .

وقد أخذ عليه (طه حسين) أنه ذكَّر الأب بما سيصيب ابنه من البلى والانحلال ، ووصف ذوقه بالمريض [١] أي أنه في مقام الرثاء ينبغي على الشاعر ألا يزيد في تفجيع الأب على ابنه ، فيذكر ما يفطِّر قلبه ، ويُدمي نفسه .

نعم للمتنبي التعبير بـ(ما) الموصولة المنبئة عن كثرة ما أصاب الأحياء من السقم والضنى ، والحزن والأسف من عظم فجيعتهم في الفقيد ، وله الصورة التشبيهية في الشطر الثاني ، لكن ذلك لا يعادل مزية قول الآخر وخفته ، ولا يغفر للمتنبي كده للسان في نطق بيته ولا طول لفظه وتكراره ، وربما كان التعبير بالتسوية (سيان أنت ومن ..) أبلغ من التصوير بالتشبيه في هذا المقام ، إذ في التشبيه يزيد المشبه به في الصفة على المشبه، على حين تقتضي المبالغة في الحزن التسوية بين الطرفين : (الأحياء المحزونين للفقد ، والمرثي) في البلى .

نعم بادر المتنبي إلى الإبانة عما أصابه من الحزن من أول كلمة في البيت (بنا) على حين تأخر إلى الشطر الثاني عند الموسوس (سيان أنت ومن يبلى من الحزن) لكن طريقة البناء والتركيب تختلف في البيتين ، إذ بدأ الموسوس بنداء المرثي ، ونداؤه أدل على التفجع ، ثم أبان في الشطر الثاني عما أصابه من بلى الحزن وأنه سواء مع ما أصاب المرثي من بلى الموت ، وعلى الرغم من تأخر عبارته إلا أنها أخف وأسلس وأنسب للمقام . إذن صورة المعنى عند ماني الموسوس أفضل منها عند المتنبي.

وعليه، فقد أخذ المتنبي وأساء الاتباع ، وبيته هذا من السرقات المذمومة بناء على ما ذكره ابن وكيع في صدر المنصف[٢] .

---

(١) مع المتنبي ص ٢١٠.
(٢) المنصف ص٢٧ .

الموضع الخامس عشر : العطاء يستمد قيمته من المعطي

وقال من أبيات :

مالَنا في النَدى عَلَيكَ اِختِيارٌ ∴ كُلُّ ما يَمنَحُ الشَريفُ شَريفُ [١]

قال ابن وكيع [٢] : ينظرُ إلى قول إسحاق [الموصلي] :

وحَسْبي قليلٌ من جَزيلِ نوالِه ∴ وهل من أميرِ المؤمنينَ قليلُ؟ [٣]

" يقول: أنت استدعيت الوصف، فذكرت وصفا واحدا. طاعة لأمرك، والذي عندي أنه لا اختيار لنا عليك فيما تعطي، أنت الشريف، وما تهب شريف. أنت رفيع، وما تهب رفيع [٤] .

لا مجال للقول بنظره إلى قول أبي إسحاق ؛ لأن المعنى مختلف ، يتحدث المتنبي عن القيمة والجودة أو الكيف ، ويتحدث الآخر عن الكم .

يقول المتنبي ليس لنا أن نختار ما تعطينا ، فكل ما يصدر عنك شريف ، إذ يستمد العطاء شرفه من شرف المعطي .

وأبو إسحاق يقول : إنه يقنع بالقليل من وافر نوال أمير المؤمنين ، ثم ينكر على نفسه أن يعده قليلا ، فما يعطي أمير المؤمنين لا يوصف بالقلة ، إذ يكفي أنه عطاؤه .

---

(١) من قطعة من ثلاثة أبيات حين سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه له ، وقبله :

وَمِنَ اللَفظِ لَفظَةٌ تَجمَعُ الوَصـ ∴ ـف وَذاكَ المُطَهَّمُ المَعروفُ

(العكبري ٢/٢٨٠)

(٢) المنصف ٢/٦٣١ .

(٣) لم أعثر عليه .

(٤) العكبري ٢/٢٨٠ .

وقد صدر المتنبي بيته بالنفي (ما لنا في الندى عليك اختيار)،فأثارت جملته المنفية سؤالا في نفس المتلقي عن السبب ، جاء الشطر الثاني جوابا له (كل ما يمنح الشريف شريف) لذا كانت الجملة متمكنة في ذهن السامع ؛إذ جاءت بعد شوق وطلب ، وفصلت عن سابقتها لشبه كمال الاتصال.

تلك الجملة اعتنى المتنبي بصياغتها ، فصدرها بلفظة العموم (كل) ليستوعب الوصف ما يعطي ممدوحه أجمع نقدا أو جارية أو فرسا أو ضيعة ... لا يشذ عنه شيء، وأضافها إلى الاسم الموصول (ما)الذي عضد معنى العموم ، وأفاد التعظيم ، ثم جعل صلته الفعل المضارع (يمنح)المفيد للتجدد لينطبق الوصف الذي وقع خبرا على ما يجدّ من عطاء الممدوح مستقبلا ، وعبر عن الفاعل الممدوح بـ(الشريف) بتجريد طريقه الكناية ليقيم الدليل على شرف عطائه ويلمح إلى أنه مسلم به ، ثم يأتي الخبر (شريف)الذي طال الشوق إليه بفعل الموصول وصلته ؛ ليقع من نفس المتلقي موقعا متمكنا حميدا، ويحل أشرف موضع من البيت وهو قافيته، فيكون الوقوف عنده أشد لتمكنه ، وأدعى لتعقله ، وأكثر جلبا لعطاء الممدوح بإدخال الأريحية والسرور على نفسه ، وقد اشتق من شرف الممدوح شرف عطائه فوشّى بيته بالجناس الذي أثرى الطاقة الموسيقية للبيت ، وأضاف إلى موسيقى الوزن والقافية .

وبناء المتنبي بيته على النفي منذ البداية أبلغ من إثبات القلة عند أبي إسحاق (وحسبي قليل...) ثم الإضراب عنه إلى النفي عن طريق الاستفهام في الشطر الثاني (وهل من أمير المؤمنين قليل؟) ، فهو يقول (ما لنا في الندى عليك اختيار) وقد نكر (اختيار) فأفاد العموم ، ومن ثم ليس لنا أن نحكم عليه بقلة ولا كثرة ، ولا ضعة ولا شرف ، ولا جودة ولا رداءة، كيف وهو صادر عنك معدن الشرف !؟ أما الآخر فقد اعترف بقلته في البداية ، ثم عاد فنقض ، إذن المتنبي أوثق بشرف عطاء ممدوحه من أبي إسحاق بكثرة عطاء صاحبه .

أما الجملة المقابلة لقول المتنبي (كل ما يمنح الشريف شريف) من قول أبي إسحاق –وإن كانت تتحدث عن الكم– فهي (وهل من أمير المؤمنين قليل؟) وقد جاءت في صورة استفهام يؤول إلى النفي والإنكار ، أي ليس مما يعطي أمير المؤمنين ما يوصف بالقليل ، فلئن كان في الاستفهام هنا تحريك للمتلقي وإثارة لانتباهه ، ففي الخبر عند المتنبي تقرير يسوق المعنى مساق المتأكد منه ، ويزجيه عن ثقة، لا يخشى إنكار منكر ولا اعتراض معترض ، وقد سارت الجملة مسار المثل.

وقد تعادلت مع جملة المتنبي من حيث الحسن البديعي ، فإن كان للمتنبي رد العجز على الصدر في (الشريف شريف) فلأبي إسحاق مثله في (قليل قليل) وقد مثل كلاهما إرصادا للقافية ، وجعل السامع يتوقعها ، حتى إذا ما جاءت تمكنت لديه ؛ لأنه أدركها مرتين مرة بتوقعه إياها وأخرى بلفظها .

المتنبي عبر عن ممدوحه بالشريف معرفا إياه بـ(أل) الجنسية ، وكأنه قد حاز كل شرف ولا شريف سواه ، أما أبو إسحاق فلم يزد على (أمير المؤمنين) منصب الممدوح ولقبه الوظيفي المعروف به ، فأنَّى يُسوَّى بينهما !؟

يتبقى القول بأن هذا من استخراج معنى من معنى احتذى عليه وفارق ما قصد به إليه ، وهو من السرقات المحمودة وفقا لما نص عليه ابن وكيع في مقدمته ، فلا يعاب بها المتنبي .

الموضع السادس عشر : التجربة تبين عن معدن الرجال

وقال من أبيات :

وَإذا وَكَلتَ إلى كَريمٍ رَأيَهُ ∴ في الجودِ بانَ مَذيقُهُ مِن مَحضِهِ

قال ابن وكيع: "هذا كلامٌ مدخولٌ، كان يجب أن يقول: (إلى مسؤول حاجة) وليس كل مسؤولٍ كريما، ولا كل مسؤولٍ لئيما، فتَفسير وكلت إليه رأيه: ما رآه لنفسه في الجود من مَذيق ومحض؛ وإذا قال: (إلى كريم) فَسد، لأن إطلاق لفظ الكرم يُوجب أن يكون جُوده مَحْضاً.

والمعنى الصحيح قول أبي نُواس:

وإذا وصلت بعاقلٍ أمـلاً ∴ كانتْ نتيجةُ قولهِ فِعلاً [١]

فلما شرطَ العقلَ أوجب أن تكون نتيجة القول الفعل. وأرى أن (الكريم) هاهنا لو استقامت أولى من العاقل".[٢]

ومعنى بيت المتنبي "إذا فوضت الأمر في الكرم إلى الكريم، ولم تطلب منه شيئا مقترحا عليه، وتركته إلى رأيه، بلغت ما تريد، وبان لك صحيح الرأي من معيبه لأن صحيح الرأي لا يحتاج إلى سؤال بل يُعطي بطبيعة الكرم ومَعيب الرأي لا يعطي حتى يُسأل مرارا "[٣]

إن الكريم بطبعه يمتاز عند العطاء عمن يتصنع الكرم.

---

(١) ديوان أبي نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي –بيروت ١٩٨٤م، ص ٤٧٠ .

(٢) المنصف ٦٣١/٢ ، وافقه العكبري ٢١٧/٢ ،ومحمد توفيق البكري الصديقي بقولهما : نظر إلى قول أبي نواس : وإذا وصلت .....

(٣) ديوانه بشرح العكبري ٢١٧/٢ .

انتقد ابن وكيع قول المتنبي (إلى كريم) لأن الوصف بالكرم يوجب أن يكون جوده محضا ، وأشاد بقول أبي نواس، ورأى أن لفظة (كريم) لو استقام بها الوزن لكانت أولى من (عاقل) .

أقول : ربما كان مقصد المتنبي الكشف عن رأي الكريم في الجود مطلقا لا جود نفسه ، أي أنه لتمكن صفة الكرم من نفسه يستطيع أن يفرق بين صافي الجود ومشوبه ، على اعتبار عود الضمير في (مذيقه) و (محضه) إلى الجود لا إلى الكريم .

أو بان محض جود هذا الكريم من مشوب جود غيره ، حسنه أظهر قبح ضده وهو المشوب، قال ابن الأفليلي " عرفت بما يبديه لك فضل ما بين المذيق والمحض ، والمشوب والصفو " [١] أي أن ما يبديه هو الجود المحض على حين أن جود غيره مشوب ، وكيف يتسنى له أن يخاطب سيف الدولة في مقام المدح بالكرم بوصف غير (الكريم) !؟.

كلاهما بنى بيته على الشرط المتيقن الجازم بتحقق الجواب إذا ما تحقق الشرط (إذا وكلت ....) و(إذا وصلت ....) وقد اتحد الشرط والجزاء في الزمن مما يدل على سرعة ترتبه عليه دون فصل ، وزينه بالطباق بين (مذيق) و(محض) عند المتنبي ، وبين (القول) و (الفعل) عند أبي نواس ، وقد جاء عند كليهما مستدعى من قبل المعنى أصيلا في التركيب .

لأبي نواس تنكير (أملا) الذي أفاد العموم فهو مطلق أمل إذا عُلِّق بعاقل تحقق مهما عظم أو ضؤل ، كبر أو صغر في الكرم أو غيره ، فأبو نواس حديثه عام ، والمتنبي يخص الكرم .

---

(١) شرح شعر المتنبي ، ابن الأفليلي ١/٢٥٠ .

في قول أبي نواس (وصلت ..أملا)استعارة جسدت الأمل ، وخيلته حبلا ممتدا ورابطا بين المؤمل والعاقل ،وعند المتنبي استعارة المذيق والمحض للجود التي جسدت المعنوي ، وعرضته في صورة سائل يبين قسماه : الصافي والممزوج، فالصافي يبين عن علو همة المعطي وبذله نفائس ماله ، والممزوج يدل على دناءة نفسه وأنه يعطى من وسائط ماله .

وللمتنبي أن كريمه عمد إلى الفعل الذي هو العطاء مباشرة فبان جوده المحض ، دون تقدم القول أو الوعد الذي يجعل المعطَى منتظرا مترقبا يخشى الخلف ، فبادر إلى العطاء مباشرة وكفاه هم انتظار إنجاز الوعد ، وإنفاذ العطية ، على حين أن عاقل أبي نواس قدم القول أوَّلا ، وأتبعه الفعل .

إذن ما فعله المتنبي أمدح ، وأدل على تمكن الكرم من صاحبه .

الموضع السابع عشر : زيارة الخيال بالفكر والادكار

وقال [المتنبي] :

لا الحِلمُ جادَ بِهِ وَلا بِمِثالِهِ ∴ لَولا اِدِّكارُ وَداعِهِ وَزِيالِهِ

قال ابن وكيع [١]: قال أبو تمّام:[٢]

نَمْ فما زارك الخيالُ ولكنـ ∴ ـكَ بالفِكر زُرْتَ طَيْفَ الخَيالِ [٣]

ومثله لابن الأحنف:

خيالُك إذ أزورُك نصب عيني ∴ إلى وقتِ انتباهي ما يـــزولُ

وليس يزورُ من صـــلةٍ ولكنْ ∴ حبيب النَّفس عنك هو الوصولُ [٤]

المتنبي "يقول: لم يزره الحبيب في النوم. يريد: أن مُوجِب رؤية الخيال في النوم، استدامة ذكر الوداع والفراق، ولولا أني أطلت تذكر وداعه ومفارقتـــه، وواصلت الفكر فيه ليلاً ونهاراً، لما جاءني خياله.

والمعنى: أن الأحلام لم تكن في قدرتها أن تجود بمن أحبه فتقربـــه، ولا بما يشبهه فتمثله، لولا ما يدعو إلى ذلك من التذكر بوداعه عند فرقته، وزيالـــه عند رحيله" [٥].

---

(١) المنصف ٦٣١/٢ .

(٢) وافقه العكبري ، وقال : هو منقول من قول الآخر : نم فما ...البيت ٥٣/٣ ، والبرقـــوقي قائلا : وهو ينظر إلى قول القائل : نم فما ...البيت ١٨٠/٣(دار الكتاب العربـــي –بيـــروت ١٩٨٦م) ، والصديقي.

(٣) ديوان أبي تمام ، بشرح الشنتمري ١٠٦/٢ .

(٤) جاء البيتان في (التذكرة الحمدونيـــة ط١،دار صـــادر–بيـــروت ١٤١٧هـــ ،ص ٢٢٨٩) برواية أصح ، وفيها (حين أرقد) بدل (إذ أزورك) ، (حديث النفس عنـــك بـــه الوصـــول) موضع الشطر الأخير، وهو الأنسب للمعنى المذكور ، وعليها أجرى البحث الموازنة ،

(٥) ديوانه بشرح العكبري ٥٣/٣ .

أصل المعنى : لم يزرك خيال الحبيب لكن فكرك أزاركه.

بنى المتنبي بيته على النفي (لا الحلم ...) وكرر (لا) لتأكيد النفي منكرا أن يكون الحلم قادرا على تصوير الحبيب ،أو تصوير مثال له ، لولا أنه تذكر وداعه وفراقه وأطال تذكره ، أي أن الحلم يضن به وبمثله ، فهو لا يراه إلا بإطالة التفكير فيه.

فالمتنبي متعلق بخيال حبيبه ، حريص عليه ، على حين أن أبا تمام يُزهِّد نفسه فيه إذ يأمرها بالنوم ، ويوصيها ألا تعبأ بذلك الخيال ، فإنه لم يزرها واصلا ، وإنما هو الذي زاره بالفكر، مستخدما القصر في (بالفكر زرت) إذ قدم الجار والمجرور على عامله ، وطباق السلب بين (ما زارك) و (زرت).

وابن الأحنف متعلق بخيال حبيبته الذي يلازمه حين يرقد إلى وقت انتباهه ، ولكن حديث نفسه به هو سبيل الوصول إليه .

يلاحظ أن ابن الأحنف يتمتع بذلك الخيال وقتا أطول من المتنبي وأبي تمام ، فلوعته أقل ، ويؤخذ عليه طول لفظه ، فما أتى به المتنبي وأبو تمام في بيت واحد أتى به في بيتين .

استخدم القصر في قوله (به الوصول) فأبان أن حديث النفس هو سبيله الوحيد إلى الوصول لخيال الحبيب ، لا وصل الخيال ولا وصل الحبيب ولا رقته لحاله ، كما استخدم الطباق بين (أرقد) و (انتباهي) ، والجناس بين (يزول) و (يزور) الذي جمع بين عنصر المفاجأة وبين الجرس والتنغيم.

المتنبي أكثر صبابة منهما ؛ إذ يطيل التفكير وتذكر الوداع والفراق–وما آلمهما على النفس – من أجل أن يرى خيال حبيبته في منامه .

المتنبي قال (لولا ادكار وداعه) وقال أبو تمام (بالفكر زرت) فالمتنبي يتجشم مشقة تذكر الوداع والفراق ، ويتجرع مرارته ،إذ عبر بصيغة الافتعال

(ادكار) على حين أن الأمر أيسر عند أبي تمام مجرد زيارة بالفكر ، وأيسر عند ابن الأحنف الذي يحدث نفسه عن الحبيب حديث أريحية وانسجام .

حوى بيت المتنبي صورة بيانية في قوله (لا الحلم جاد به ولا بمثاله) شخصت الحلم وجعلت رؤية الخيال فيه –لو حدثت – جودا وكرما منه يفيضه على الشاعر ويمتن له به ،وهذا يدل على عظم تعلقه بخيال حبيبه ، تلك الصورة خلا منها قولا أبي تمام وابن الأحنف .

كما يفضلهما بيت المتنبي من الناحية الموسيقية إذ جاء مصرعا (عروضه مقفاة تقفية ضربه)، (مثاله) في العروض، (زياله) في الضرب ،الأمر الذي يفقده الآخران .

إذن كسا المتنبي المعنى لفظا أحسن من لفظه ، فهو أحق به .

أما رواية المنصف لبيتي ابن الأحنف فيتضح فيها الاضطراب والتناقض، ومن ثَم لا تؤدي المعنى المقصود موضع الموازنة ، فلا مجال لعقدها على تلك الرواية .

الموضع الثامن عشر : التلاقي على البعاد

من قصيدة [١]:

لنا ولأهله أبداً قلوبٌ ∴ تلاقى في جسومٍ ما تلاقي

قال ابن وكيع [٢]: يشبه قول ابن المعتز :

إنا على البعادِ والتفرقِ ∴ لنلتقي بالذكرِ إن لم نلتقِ [٣]

قال العكبري "لنا وللراحلين من أهل الربع قلوب تتلاقى أبدا ..... في أجسام متنافية وأجساد غير متلاقية وهو منقول من قول ابن المعتز : إنا على البعاد والتفرق ...البيت"[٤]

أصل المعنى : التلاقي حاصل على الرغم من البعد .

جيد أن قال ابن وكيع (يشبه) ولم يقل (مأخوذ) . وقد قال الثعالبي : معناه ينظر إلى قول ابن المعتز : إنا على البعاد ... البيت ، بعد أن عده من حسن تصرف المتنبي في الغزل [٥] ، فإذن حسن التصرف ممحاة لنظره إلى قول ابن المعتز .

قرب المتنبي المسافة بالتلاقي بالقلوب ، وظل البعاد قائمًا عند ابن المعتز ، وفرق بين اللقاء بالود عند ابن المعتز وبين التلاقي بالقلوب عند المتنبي، إذ تلاقي القلوب يمثل اتصالا وملاصقة يعطي مفارقة ، إذ كيف تتلاقي

---

(١) يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية . (العكبري ٢/٢٩٤)

(٢) المنصف ٢/٦٣٢ .

(٣) ديوان ابن المعتز ،دار صادر –بيروت ص ٣٣٧ .

(٤) العكبري ٢/٢٩٤ .

(٥) يتيمة الدهر ، الثعالبي ، تحقيق / د. مفيد محمد قميحة ، ط١ دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٤٧م ، ط٢ ١٩٨٣م ١/٢٢٢.

القلوب، والجسوم لا تتلاقى !؟ وكأن القلوب تسبح في الفضاء لتتلاقى ، ثم تعود إلى الأجسام .

وقد أدام المتنبي التلاقي بين القلوب المتباعدة الأجسام بلفظة (أبدا) التي خلا منها بيت ابن المعتز، وإن كان ابن المعتز استخدم التأكيد بـ(إن) واللام ،فإن فرقا بين الأبدية والتأكيد.

كلاهما زين بيته بطباق السلب (تلاقى) و (ما تلاقى) عند المتنبي ، (نلتقي) و(لم نلتق) عند ابن المعتز، وقد جاءا أصيلين في التركيب ، مستدعيين من قبل المعنى ، وعبر بالمضارع الدال على تجدد التلاقي .

قال المتنبي (في جسوم ما تلاقى) وقال ابن المعتز (على البعاد والتفرق) جزم المتنبي بأن الجسوم لا تتلاقى ، على حين أن البعاد والتفرق يمكن أن يتخلله أوقات لقاء ،بدليل قوله (نلتقي بالود إن لم نلتق) إذ يمكن أن يحدث لقاء ،يعضد ذلك استخدام (إن) الدالة على الندرة والشك ، ودلالة المضارع مع (لم) تنقلب إلى الماضي ، أي إن لم يُتح اللقاء في الماضي فإنا نلتقي بالود ، على حين أن دلالة (ما تلاقى) عند المتنبي باقية على التجدد بصياغة المضارع، فهذه الجسوم عدم تلاقيها متجدد ، فلا يتاح لقاء على أي حال من الأحوال .

ابن المعتز: يجمعنا الود رغم البعاد والتفرق .

المتنبي : تتلاقى قلوب متباعدة الأجسام.

عوّل المتنبي على الحس (قلوب ،وجسوم) الذي هو أقرب للنفس ، وإدراكه لديها آكد وأشد ، والصفة فيه أوضح ، على حين عول ابن المعتز على المعنى والشعور (الود ،البعاد ، التفرق) الذي هو أخفى وأدق ، فكانت صورة المعنى عند المتنبي أقوى وآكد لدى المتلقي.

القلوب تتلاقى طواعية يهفو بعضها إلى بعض ، يشارك بعضها بعضا اللقاء عند المتنبي ، على حين يفتعل ابن المعتز اللقاء ويتكلفه ؛ فالفعل (نلتقي) بصيغة (نفتعل).

وانظر إلى تنكير (قلوب) الذي أفاد رقتها وعدم احتمالها الفراق ؛ لذا يهفو بعضها إلى بعض ، ويحن للتلاقي ويأبى إلا أن ينفذه، كما أن صياغتها (جمع كثرة) تعني كثرة الأحبة وتوزع قلبه وتمزقه على فراقهم ، وكأن له قلوبا عدة تلاقى كل قلب منهم .

وقد حقق اتحاد الصيغة بين (قلوب) و (جسوم) توازيا صرفيا أضفى نغما موسيقيا يثري موسيقى الوزن .

ووقوع (القلوب) عروضا لبيت المتنبي له أثر عميق في نفس المتلقي ، فوقوفه عليها يجعلها تسكن قلبه ، وتستقر في أعماقه ؛ ليعي رهافة هذه القلوب ، ورفضها واقع الفراق ، على حين أن عروض البيت عند ابن المعتز(التفرق) تلك الكلمة المؤلمة الدلالة التي جاءت سابقة للالتقاء مشيعة في النفس الوحشة ، في الوقت الذي قُدم فيه التلاقي على عدمه في بيت المتنبي (تلاقى–ما تلاقى).

فبين البيتين فرق كبير ، وأين الثرى من الثريا ؟

الموضع التاسع عشر :الأثر الحسن يقود إلى صاحبه

وقال المتنبي :

وَبَينَ الفَرعِ وَالقَدَمَينِ نورٌ ∴ يَقودُ بِلا أَزِمَّتِها النِياقا

قال ابن وكيع [١]: قال الحصني :

ولو أن ركبًا يمَّموك لقادَهم ∴ نسيمُك حتى يستدلَّ بك الركبُ [٢]

"لما جعله بدراً [في البيت السابق] والبدر لا يخص النور بعضه، وصفه بأنه كله نور من فرعه إلى قدمه ، فجعله كاملا ، وهو يقود النياق بلا أزمة " [٣].

عند المتنبي: المقود النياق ، وهي أعصى على القيادة ،وعلى الرغم من ذلك انقادت لنور الحبيبة بلا أزمة ، وعند الحصني :المقود الركب الأسلس في القيادة وقد انقاد لرائحة النسيم الطيب حتى استدل على صاحبه ، يصف المتنبي الحبيبة بالنور والبهاء والحسن الذي يقود غير العاقل إليه ، ويجعله يهتدي به ، والحصني يمدح صاحبه بنسيمه الزكي الذي به استدل على موضعه ، والنور أظهر وأشهر وأبين في الاستدلال من الرائحة ، فحاسة البصر أقوى من حاسة الشم .

ولو قال الحصني (به) فأعاد الضمير على النسيم –كما جاء في رواية العكبري– لكان أبلغ ؛ إذ هو أدل على ظهور رائحة النسيم الطيبة وأثره الحسن ،

---

(١) المنصف ٦٣٢/٢ .

(٢) نسب في الوساطة ص ٢٦٥ إلى أبي العتاهية ، وكذا في شرح البرقوقي ٤٠/٣ ، والعكبري ٢٩٥/٢ ، ولم أعثر عليه في ديوانه .

(٣) ديوانه بشرح العكبري ٢٩٥/٢ ، وقد وافق العكبري ابن وكيع إذ قال : ونظر إلى قول أبي العتاهية : ولو أن ركبا ...البيت . ورواية البيت عنده (حتى يستدل به)

لكنه قال (بك) أي بعين ممدوحه لا بأثره ، فالمبالغة فيه أقل ؛ إذ يكون الشـــخص دليل الركب ،وهذا أمر معتاد .

كما يؤخذ على صياغته أنها مشروطة بـــ(لو) الدالة على الامتناع، مما يوعز بامتناع كون ممدوحه مقصد الركب أو الشك فيه ، فلو حدث وقصدك الركب لقادهم نسيمك، فلم يقطع بكونه مراد الركب وإليه مسيره ، على حين أن صياغة المتنبي جاءت تقريرية دالة على التجدد (نور يقود) ليست مشروطة مما يدل على مدى تعلق من يركب النياق بالأحبة الموصوفين وأن تعلقهم فاض على ركائبهم ، فانقادت بلا أزمة إلى أحبتهم.

كما أن تقديم المتنبي (بلا أزمتها) على المفعول (النياق) أفاد المبـــادرة إلى موطن النكتة بأن النياق ليست في حاجة إلى أزمة حتى تنقاد إلى هذا النور ، وإنما تنجذب إليه تلقائيا .

ولم يخل بيت المتنبي من الحسن البديعي ، فبين (الفرع) و (القـــدمين) طباق ما بين العلو والسفل ، أفاد هذا الطباق شمول النور للحبيبة كلها من أعلـــى موضع فيها إلى أسفل نقطة ، وزين الحصني بيته برد العجز على الصـــدر فـــي اللفظين المكررين ، أثرى موسيقاه وأرصد لقافيته .

لكن الصياغة راجحة للمتنبي ، ولفظه أوجز فهو أحق به ، بناء علـــى أن من أخذ معنى فكساه لفظا أحسن فهو أحق به .

الموضع العشرون :لباس من عيون

وقال المتنبي :

وَخَصرٌ تَثبُتُ الأَبصارُ فيهِ ∴ كَأَنَّ عَلَيهِ مِن حَدَقٍ نِطاقا[١]

قال ابن وكيع [٢] :يشبه قول القائل :

نظرْنَ إليَّ بالأحداقَ حتى ∴ كأنّي في قميصٍ من عيون [٣]

وقال ابن الرومي :

إذا ما بدتْ للناسِ سنتُه ∴ كانت عيونُ الورى من حولِه سُبَحا [٤]

وقال بشار :

ومكـــللاتٍ بالعيـــو ∴ نِ طرفْنَنا ورجعْنَ مُلسا [٥]

---

(١) الحدق : جمع حدقة وهي سواد العين الأعظم (اللسان / حدق) ،النِّطاقُ كل مـا شـد بـه الوسط .(اللسان/ نطق)

(٢) المنصف ٦٣٣/٢ .

(٣) لم أعثر عليه .

(٤) رواية الديوان : وجه إذا ما بدت للناس سنته ∴ كانت محاسنه حولا لهم سُبَحا (ديوان ابـن الرومي٥٠٧/٢ في مدح إسماعيل بن بلبل) والسُّبَح : جمع سَبْحة وهي الثياب من الجلود (لسان العرب / سبح) .

(٥) ديوان بشار ، تحقيق / محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيـع –تـونس ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ١٩٧٦م ،ص ٩٨ . وافق ابن وكيع في القول بالنقل عن بشار كل من : الواحدي قائلا : وقد نقل أبو الطيب العين إلى الخصر والإكليل إلى النطاق.(ص٤٢٥ ، =ط برلين ١٨٦١م) ، والحاتمي حيث قال : وكيف يكون بكرا وبشـار يقول : ومكللات .... البيت (الرسالة الموضحة ص ٢٤) ، وابن فورجة حسب ما نقله عنه الواحدي والعكبري لكني لم أعثر عليه في كتابه .

يقول المتنبي:"إن خصره [الحبيب] دقيق تثبت الأبصار فيه، وتتردد لحسنه عليه، وتكثر الإعجاب منه، حتى كأن عليه نطاقا يشمله، ووشاحا يعمه"(١) .

خصر جميل يجذب الأنظار فتحيط به وكأنها نطاق قد شُد حوله .

اتفق الأربعة في تشبيه العيون في إحاطتها بما تنظر إليه بشيء مادي متصل الأجزاء يحيط بما يُضرب عليه ، فالمتنبي شبهها بالنطاق ، والثاني بالقميص ، وابن الرومي بالسبح ، وبشار بالإكليل .

لكن فروقا في الصياغة بينها :

المتنبي: يتغزل بخصر الحبيبة ، فيفخمه بالتنكير ، ثم يصفه بقوله (تثبت الأبصار) فالأبصار ثابتة لا تتحول عنه ثم شبهها بالنطاق ،أي صنع من العيون نطاقا حول هذا الخصر .

والثاني : يتغزل بنفسه مُدِلًّا معجبا بها ،الأحداق تنظر إليه ، وقد أحاطت به واحتوته احتواء القميص للابسه لذا شبهها به.

وابن الرومي: يمدح صاحبه، وقد ربط كون العيون من حوله سببا بظهور طريقته للناس لا مطلقا ، فقد قصَّر بهذا القيد ، كما أنه قد طال لفظه عن ثلاثتهم .

وبشار : تغزل بنسوة زرنه بقوله إنهن مقصد العيون وقبلة الأنظار ، فجعل العيون أكاليل طُوِّقن بها .

للمتنبي وابن الرومي صيغة الإفراد الدالة على صدق الصبابة وإخلاص المشاعر لواحد ، لا يشاركه غيره ، بخلاف بشار المتفرق هواه بين نسوة عدة ، قد أولعت بهن العيون ، وبخلاف الثاني الذي كأنه عمر بن أبي ربيعة في حديثه

(١) شرح العكبري ٢/٢٩٧ .

عن ولع النسوة به على خلاف ما يقتضيه العرف ، ويؤخذ على ابن الرومي تعليق التشبيه على الشرط الذي خلا منه بيت المتنبي.

وقد قال الثاني (نظرن) وقال المتنبي (تثبت الأبصار) وثباتها أقوى من مجرد النظر ، وبه فاق المتنبي ثلاثتهم ،إذ لم يصرح به أو ينص عليه واحد منهم .

وعند الثاني (الأحداق) في شطره الأول فضلة يمكن الاستغناء عنها، يقابلها عند المتنبي (الأبصار) وهي عمدة في الكلام لا يصح الاستغناء عنها بحال من الأحوال ، كما أن عنده التعبير بالماضي (نظرن) تتبعه (حتى) الدالة على التدرج في النظر حتى كان قميص من العيون ، على حين أن التعبير بالمضارع في (تثبت الأبصار) عند المتنبي دل على قوة في توجه الأنظار نحو الخصر، وتجدد في الوقت نفسه .

وقال المتنبي(كأن عليه...) وقال الثاني (كأني في ...) قد تبدو مبالغة الثاني أقوى لاستخدامه (في) الدالة على أن القميص احتواه أجمع، على حين ضُرب النطاق على الخصر فقط عند المتنبي ، ولكنه أوقع حيث يحيط النطاق بالخصر ولا يحوي جميع الجسم ، فهناك فرق بين الموصوف في البيتين : المتنبي يصف الخصر، والنطاق يناسبه (على) لأنه يحيط بالخصر من الخارج إحاطة ظاهرية بما يتناسب مع دلالة الاستعلاء، والآخر يصف نفسه ، فناسب أن يحتويه القميص ويصير ظرفا له ، فناسبته (في) الظرفية .

هذا ، بالإضافة إلى اختلاف الغرض بين البيتين: المتنبي يتغزل ، والآخر يفخر بنفسه .

والأمر واقع محقق واضح للعيان عند المتنبي لا ينتظر التعلق على شرط كالذي عند ابن الرومي ، وعلى فرض أنه أخذه عن ابن الرومي، فقد نقله من المدح إلى الغزل ، وعلى رواية الديوان (كانت محاسنه حولا لهم سبحا) يبعد

الشبه بينه وبين بيت المتنبي ، إذ جعل محاسن الممدوح سبحا للناس ، وقيد ذلك بحول واحد ، فابتعد عن حديث العيون ، وقصَّر بالتقييد .

ووصف الخصر هو الغرض المقصود عند المتنبي ومن أجله بنى البيت، وعقد التشبيه ، أما جعل العيون إكليلا للنساء الحسناوات فقد جاء عرضا عند بشار ، وغرضه الرئيس الإخبار بزيارتهن له ؛ لذا توافرت عناية المتنبي بالصورة عنها عند بشار، وقد نقل المتنبي الصورة من الرؤوس إلى الخصر، ومن الإكليل إلى النطاق، وقد جاء في شرح الواحدي " والسري الموصلي كشف عن هذا المعنى في قوله : أحاطت عيون العاشقين بخصره فهن له دون النطاق نطاق" [١] .

وقد جاء في الصبح المنبي أن السريّ قال عن بيت المتنبي بعد أن سمعه : " هذا والله معنى ماقدر عليه المتقدمون " [٢] فكشفه عنه نقلٌ عن المتنبي .

كما أن إقامة الموازنة بين بيت المتنبي وثلاثة آخرين فيه حيف وإجحاف بحق الرجل ، والبيت الوحيد الذي يتفق معه في الغزل بيت بشار ، وهكذا يتضح تحامل ابن وكيع على المتنبي وتكلفته أن يبرأ شعره من مشابهة معنى سُبِق إليه في أي غرض كان .

وقد أشاد الثعالبي بهذا البيت والبيت الذي قبله ، وعدهما من حسن التصرف في الغزل [٣] ، فهذا دليل على إبداع المتنبي فيهما بحسن التصرف في الصياغة ، بعد أن انفعلت نفسه بمعاني السابقين كساها حلة زاهية من فنه .

---

(١) الواحدي ٤٢٥ ط برلين .
(٢) الصبح المنبي ص٨٠.
(٣) يتيمة الدهر ٢٢٣/١.

الموضع الواحد والعشرون: رواق من عجاج

وقال المتنبي :

تبيتُ رماحُه فوقَ الهوادي [١] ∴ وقد ضربَ العجاجُ له رواقا

قال ابن وكيع [٢]: يشبه قول ابن الرومي:

وإعمالي إليكَ بها المطايا ∴ وقد ضربَ العجاجُ له رواقا [٣]

المتنبي" يقول: تبيت رماحه، فوق أعناق خيله، في سراه إلى عدوّه، والعرب تعرض الرماح على أعناق الخيل في السير وتسددها في الحرب، وما تثيره من العجاج، كالرواق عليها. يشير إلى أنه يسير إلى أعدائه، ويدّرع الليل نحوهم، أخذا بالحزم" [٤] .

يتحدث المتنبي عن كمال استعداد ممدوحه للحرب ، وقوة خيله ، إذ تبيت الرماح معدة للحرب ، وقد نصبت فوق الهوادي ،معلنة عن مهارة الفارس الذي يحفز خيله على السرعة بهذه الحيلة ، إذ ترى الخيل الرماح فتظن أنها في سباق معها ، فتجدّ في السير وتسرع فلا تُلحق ، فتثير حوافرها الغبار الذي ينعقد سقفا فوقها .

---

(١) الهادية من كل شيء أوله وما تقدم منه ، هوادي الخيل أعناقها ؛ لأنها أول شيء من أجسادها . (تهذيب اللغة للأزهري /هدى) ktab inc ٢٠٠١ .

(٢) المنصف ٦٣٣/٢. ووافق العكبري ابن وكيع إذ قال: وهو منقول من قول ابن الرومي : وإعمالي ...البيت وروايته (وقد ضرب العجاج بها) ٣٠٠/٢. وروايته لبيت المتنبي (وقد ضرب العجاج لها) بعود الضمير على الهوادي ، وما أُثبت في صلب الصفحة رواية المنصف.

(٣) في ديوانه ١٦٣٧/٤:(وقد ضرب الظلام) فهذا يعني أنه سار ليلا ، حيث غلف الظلام المطايا، لا أنها أثارت الغبار، حتى غطاها ، وبعده : ورفضي النوم إلا أن تراني ∴ أعانق واسط الكوراعتناقا ، مما يؤيد كون المسير ليلا ، فالمقصود ظلام الليل لا عتمة الغبار .

(٤) ديوانه بشرح العكبري ٣٠٠/٢ .

أما ابن الرومي فيتحدث عن مطاياه التي أعملها إلى ممدوحه، فليس عنده وصف للممدوح بالشجاعة ، ولا الاستعداد للحرب ، بل كأنه يمن عليه بإعمالها؛ فقد جدت مطاياه في المسير إلى ممدوحه حتى أثارت الغبار ، أو واصلت المسير ليلا وقد انعقد الظلام الدامس فوقها على رواية (وقد ضرب الظلام) التي جاءت في الديوان .

المتنبي يشيد بممدوحه وخيوله وما أُعد عليها من رماح ،وابن الرومي كأنه يمن على ممدوحه بإعماله المطايا ، ويستنجزه به العطية.

صدر المتنبي بيته بالفعل (يبيت) وبه يكون قد اجتمع على الخيل ظلمتان: ظلمة الليل ، وظلمة العجاج، مما يبين عن براعة الخيل وتحديها الصعاب، وشدة عدوها رغم المعوقات ، وإصرارها على بلوغ الهدف ، وليس في بيت ابن الرومي –على رواية المنصف– ما يشير إلى زمن المسير ، فقد يكون نهارا ، وحينئذ تكون مهمة مطاياه أقل صعوبة من مهمة خيل سيف الدولة .

حتى وإن كان كذلك فإن اتحاد اللفظ في الشطر الثاني لكلا البيتين (حسب رواية المنصف) يجعله يعد من السرقات المذمومة حسب قواعدها في صدر المنصف ، إذ أخذ المعنى واللفظ دون أدنى تصرف في أي منهما، على الرغم من اختلاف المقام والسياق.

أما على رواية الديوان(وقد ضرب الظلام) فالمعنى مختلف، ليس ثمة غبار مثار من حوافر المطايا ، ولكن الليل غطاها بظلامه؛ لأن المسير كان ليلا ، فثمة فرق بين عبارة المتنبي ومقامها ، وعبارة ابن الرومي الذي يصف المشاق التي تجشمتها المطايا في السير إلى الممدوح حيث الظلام الحالك الذي يصعب معه السير لصعوبة الرؤية ومع ذلك يحثها عليه ويعملها فيه.

فإذا كانت رواية الديوان هي الأصح بعُد الشبه الذي يقول به ابن وكيع بين البيتين .

الموضع الثاني والعشرون :عمَّ سروره فعمَّ أساه

وقال من قصيدة :

ومن سرّ أهلَ الأرضِ ثمّ بكى أسًى ∴ بكى بعيونٍ سرّها وقلوب [١]

قال ابن وكيع[٢] : قال ابن الجهم [٣] :

يا بني طاهر حللتُم من النا ∴ سِ محلَّ الأرواحِ والأجسام

فإذا خصَّكم من الدهرِ رزءٌ ∴ عمَّ معروفُكم جميعَ الأنام [٤]

المتنبي" يريد: الذي سر جميع الناس، من السرور ثم بكى لحزن أصابه، ساء بكاؤه الذين سرهم، فكأنه بكى بعيونهم وحزن بقلوبهم، لما يصيبهم من الأسى والجزع. والمعنى إنك إذا بكيت بكى الناس لبكائك وحزنوا بحزنك، فهم يساعدونك على البكاء جزاء لسرورهم" [٥].

شتان ما بين المعنى واللفظ فيهما ، فالمتنبي يقول لما كان الممدوح سببا في إدخال السرور على أهل الأرض فإن حزنه يحزنهم وبكاءه يبكيهم تأثرا له ومواساة ، وتألما بألمه، فكأنه يبكي بعيونهم التي سرها من قبل .

---

(١) من قصيدة يعزي فيها سيف الدولة عن عبده يماك التركي ، وقبله : لا يحزن الله الأمير فإنني لآخذ من حالاته بنصيب (ديوانه بشرح العكبري ٤٩/١ .

(٢) المنصف ٦٣٤/٢ ، لم يقل أحد من أصحاب الشروح بأخذه من ابن الجهم إلا ابن وكيع.

(٣) علي بن الجهم شاعر عباسي مطبوع ، كان معاصرا لأبي تمام ، قتل بناحية حلب سنة ٢٤٩ هـ (معجم الشعراء للمرزباني ص ١٧٨ بتصرف)

(٤) تكملة ديوان علي بن الجهم ، تحقيق /خليل مراد ،وزارة المعارف –المملكة العربية السعودية ١٩٨٠ ،ص ١٨٢ وروايته :

يا بني مصعب حللتُم من النا ∴ سِ محلَّ الأرواحِ والأجسام

فإذا رابكم من الدهر ريب ∴ عم ما خصكم جميع الأنام

(٥) شرح العكبري ٤٩/١ .

أما ابن الجهم فيمدح بني طاهر بأنهم الأرواح في أجساد النـــاس ، ثـــم يأتي في البيت الثاني ما قصد ابن وكيع أنه موضع الموازنة ، ممـــا هـــو مثيـــر للدهشة وعليه يقع الإنكار ، إذ رتب معروفهم على أن يخصـــهم الـــدهر بـــرزء وينتابهم بنوائبه ، وكأنهم لا يعطون ولا يحسنون إلى الناس إلا عند المصـــائب ، وهذا يقدح فيهم وهو أقرب إلى الذم منه إلى المدح ، فمقتضى المدح أنهم يعطون في الرخاء والشدة ، ولا يخشون الفقر على أية حال .

ثم أين تأثر الناس لهم حين يصيبهم الدهر برزئه ؟ لم يلمح ابن الجهـــم إلى شيء من ذلك على الإطلاق،ألا تتأثر الأجسام لما يعرض للأرواح !؟

فلا مجال للموازنة بين بيت المتنبي وبيتي ابن الجهم فـــالمعنى واللفـــظ فيهما مختلفان .

أما ما يجعل ثمة مجالا لعقد الموازنة بينهما فهو رواية الأغاني وتكملة ديوان ابن الجهم :

فإذا رابكم من الدهر ريب ∴ عم ما خصكم جميع الأنام (١)

أي ما أصابكم على وجه الخصوص يؤثر في جميع الناس علـــى وجـــه العموم ، غير أن دلالة بيت ابن الجهم على تأثر الناس لممدوحه جـــاءت عامـــة مجملة ، على حين جاءت دلالة بيت المتنبي عليه مفصلة مصحوبة بالدليل ، وهو بكاء العيون ، إذ البكاء دليل الحزن ، فالمعنى غفل ساذج عند ابن الجهم ، مصور عند المتنبي ؛ إذ استخدم الكناية (بكى بعيون) ثم دلل على عمق الحـــزن بعطـــف القلوب على العيون) فليست العيون وحدها تبكي لبكائه ، وإنمـــا تشـــاركها فيـــه القلوب ، وإذا كانت العيون تذرف دمعا ، فإن القلوب تنزف دما ، فلعظيم إحســـان الرجل تُبذل له العيون والقلوب ، كل ذلك لا نجد شيئا منه ولا أثرا عنه عند ابـــن الجهم .

---

(١) الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ط١ دار الكتب المصرية ١٩٣٨م، ٢٢٦/١٠.

نعم تقدمة ابن الجهم بجعل بني طاهر أرواحا للناس أعمق من مجرد إدخال السرور على الناس عند المتنبي ، لكن جاء ما ترتب عليه أعمق أثرا (بكى بعيون سرها وقلوب) مما رتب ابن الجهم على تقدمته (عم ما خصكم جميع الأنام).

فابن الجهم فاق بتقدمته ، والمتنبي فاق في الأثر المترتب عليها ، وقد استويا في الصياغة الشرطية : (ومن سر .... بكى) عند المتنبي ، (وإذا رابكم .... عم) عند ابن الجهم ، وفي استخدام المطابقة العفوية المستدعاة من قِبَل المعنى : (سر ، وبكى) للمتنبي، و(خص ، وعم) لابن الجهم ، بما لكليهما (الشرط والطباق) من أثر في الحبك والتماسك ، باستدعاء كل من طرفيهما للطرف الآخر، فالشرط يستدعي الجزاء ، ويجعل المتلقي متأهبا لتلقيه ، والضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر مقابله، وبما للطباق خاصة من حسن بديعي ، فبضدها تتمايز الأشياء .

وتعبير المتنبي بـ(أهل الأرض) أعم من تعبير ابن الجهم (الناس ، جميع الأنام) وبذلك يكون ممدوح المتنبي أدخل السرور على كل ما يأهل الأرض ويقطنها من الناس والأنعام وغيرها ، فتبكي له حين يبكي جميعها أي حتى غير العقلاء يألمون لألمه ، ويحزنون لحزنه ، فقد عمهم خيره ، أحسن إلى الناس ، وعاشت الأنعام رغده بسعة مرعاها وخصبه ، وطعمت النسور والعقبان من قتلاه ..... فإدخاله السرور لم يقتصر على البشر .

إذن ، فاق المتنبي بأمور : عموم لفظ (أهل الأرض) ، والأثر المترتب على بكاء ممدوحه (بكى بعيون ...)، والصورة التي عُرِض فيها هذا الأثر وهي الكناية التي تعطي المعنى مصحوبا بالدليل .

هذا ، وقد عد صاحب الوساطة بيت المتنبي هذا مما يُسلَّم له به قصب السبق ونصال النضال [١] فأنى يُدَّعى فيه سرقة !؟

---

(١) الوساطة ص٩٩ .

الموضع الثالث والعشرون : حلولها إشراق ومغيبها غروب

وقال المتنبي :

فَدَيناكَ مِن رَبعٍ وَإِن زِدتَنا كَربا ∴ فَإِنَّكَ كُنتَ الشَرقَ لِلشَمسِ وَالغَربا [١]

قال ابن وكيع: يُشبه قول؟؟ [٢]:

ترى حيثُ ما حلّت من البيتِ مشرِقا ∴ وما لم تكن فيه من البيتِ مَغرِبا [٣]

"يقول للربع: فديناك من الأسواء، وإن زدتنا وجدا وهيجته لنا، فأذكرتنا عهد الأحبة حين كنت مثوى الحبيب، فمنك كان يخرج، وإليك كان يعود، وجعل محبوبه الشمس، فكانت إذا ظهرت فيك كنت كالمشرق لها، وإذا احتجبت فيك كنت كالمغرب لها" [٤].

يقول المتنبي :إنه يفتدي ذلك الربع الذي يثير شجنه ويهيج شوقه ، فيزيده وجدا ، كانت تشرق منه الحبيبة إذا طلعت وتحتجب فيه ، فهو كالمشرق حين تطلع منه ، وكالمغرب حين تستتر فيه .

أما أبو نواس فيقول في سياق مختلف : إن المكان الذي تحله الخمر يتمتع بالإشراق والضياء والبهجة حتى يكون كالمشرق ، والعكس صحيح إذ المكان الذي لا خمر فيه مظلم موحش كالمغرب .

---

(١) مطلع قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ، ويذكر بنا ء مرعش ٣٤١ هـ (ديوانه بشرح العكبري ٥٦/١) .

(٢) هكذا في المنصف دون ذكر القائل ٦٣٤/٢ .

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ،النويري ،تحقيق /مفيد قميحة وآخرون ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٤م ١٠٨/٤ . منسوب لأبي نواس في الخمر ، وروايته :

إذا عب فيها شارب القوم خلته ∴ يقبل في داج من الليل كوكبا

ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً ∴ وما لم تكن فيه من البيت مغربا

(٤) ديوانه بشرح العكبري ٥٦/١ .

فالمعنى معكوس والسياق مختلف ، الخمر تقر في مكان فيصير كالمشرق ، وتنعدم في آخر فيصير كالمغرب ، على حين أن الحبيبة حين تقر في بيتها يخفي إشراقها فيكون البيت كالمغرب للشمس ، وتطلع منه فيكون موضع إشراقها .

ثم إن المتنبي جعل حبيبته شمسا مصرحا بذلك عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم بنى على أنها شمس حقيقية ، فجعل لها مشرقا ومغربا ، موضع ظهور وموضع مغيب (كنت الشرق للشمس والغربا).

على حين أن أبا نواس لم يصرح بكون معشوقته (الخمر) شمسا ، وإنما جعل موضع حلولها مشرقا ، والموضع الذي يخلو منها مغربا ، فهي مشرقة مشعشعة مؤنسة مبهجة لكنها لم تصل حد الشمس ولا معشارها .

كما أن المتنبي جاء بالمعنى موضع الموازنة في الشطر الثاني من بيته في لفظ رشيق ومعرض أنيق ،وشغل صدره بافتداء الربع الذي يهيج كوامن شوقه، ويثير وجده ، وعرض أبو نواس المعنى في البيت كاملا : شطر للمشرق، وشطر للمغرب، وأكد المتنبي العبارة بـ(إن) وخلت عبارة أبي نواس من التأكيد ، وللمتنبي -أيضا-توظيف الاعتراض (وإن زدتنا كربا) في الدلالة على بالغ تعلقه بالربع المترتب على تعلقه بأهله على الرغم من أنه يزيده وجدا.

فلئن سبق أبو نواس إلى أصل الفكرة ، فلقد بز المتنبي في صورة عرضها عن طريق العكس، والتصوير البياني، واختصار اللفظ ، والتأكيد ، وقد نص ابن وكيع نفسه على أن (استيفاء اللفظ الطويل في الموجز القصير) من السرقات المحمودة [١] .

هذا ، وقد اختلف الغرض من وصف الخمر عند أبي نواس إلى الغزل عند المتنبي ، وقد عُدَّ بيت المتنبي من المطالع الحسنة [٢] ، ولو كان مسروقا لما أشيد به، بل لعُدَّ معيبا.

---

(١) المنصف ص٩ .

(٢) الصبح المنبي ٣٩١.، يتيمة الدهر ٢١٧/١ .

الموضع الرابع والعشرون :أذاه عندي وخيره عند من لا يستحق

وقال المتنبي :

لَيتَ الغَمامَ الَّذي عِندي صَواعِقُهُ ∴ يُزيلُهُنَّ إلى مَن عِندَهُ الدِيَمُ [١]

قال ابن وكيع [٢]: قال ابن الرومي:

أُعيذُ مُزْنَكَ أن يَشْقى ببارقةٍ ∴ شَيْمي[٣] وتسعدُ أقوامٌ بنائلهِ![٤]

وقال أيضاً:[٥]

وعندي منقضُّ الصواعقِ منكما وعندَ ∴ ذوي الكفرِ الحيا والثَّرى الجعْدُ [٦]

---

(١) كان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدح المتنبي شق عليه وأكثر من أذاه، وأحضر من لا خير فيه، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء، فيزيد بذلك في غيظ سيف الدولة. ويتمادى أبو الطيب في ترك قول الشعر، ويلح سيف الدولة فيما يستعمله من هذا القبيح. وزاد الأمر على أبي الطيب، وأكثر عليه مرة بعد أخرى، فقام أبو الطيب وأنشده هذه القصيدة في محفل من العرب والعجم التي مطلعها :واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم (العكبري ٣٦٢/٣) ، وقد عد صاحب الوساطة هذا البيت مما يسلم له به قصب السبق ونصال النضال ص٩٢،٩٧.

(٢) المنصف ٦٣٤/٢ .

(٣) شام السحاب والبرق شيما : نظر إليه أين يقصد ، وأين يمطر ، وقيل هو النظر إليهما من بعيد ، وقد يكون الشيم:النظر إلى النار ... وشمت البرق: إذا نظرت إلى سحابته أين تمطر .(لسان العرب /شيم) .

(٤) رواية الديوان (ببارقه) في العروض ، و(بوابله) في الضرب ١٩٩٤/٥ .

(٥) وافقه الواحدي قائلا : ومثل هذا في المعنى قول ابن الرومي، أعندي تنقض الصواعق منكما ....البيت (ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح الواحدي ، فهرسة/ فريدرخ ديتريصي ،ط برلين ١٨٦١م ص ٤٨٥) وقال الصديقي : من قول ابن الرومي : أعندي تنقض ... فصرح بالأخذ ، وقال البرقوقي : ومثله قول ابن الرومي : أعندي ...البيت ٨٨/٤ ، والعكبري ٣٧١/٣ ، وأورده الجرجاني في الوساطة في سرقات المتنبي ص٣٣٩ ، والعميدي في الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى ، ص٥٧ تحقيق /.إبراهيم الدسوقي البساطي ، دار المعارف، القاهرة – مصر ١٩٦١ م

(٦) ديوان ابن الرومي ٦٦٤/٢ من قصيدة في الحسن بن عبيد الله بن سليمان .

"يشير[المتنبي] إلى الممدوح معنِّفاً له على إصغائه إلى الطاعنين عليه، أي ليت هذا الملك الذي يشبه الغمام بجوده، ويخلُفه بعقله الذي عندي صواعقه، يريد: ما يلحقه من الأذى ممن حوله، يزيل تلك الصواعق إلى الحاسدين، فيشاركونني في بؤسه، كما يشاركونني في فضله. والمعنى: ليته أزال الشرّ الذي عندي إلى من عنده النفع " (١) .

هذا الغمام نصيبي منه الصواعق ، ونصيب غيري الديم ، أي يلحقني أذاه وأُحرم خيره ، ليته يزيل هذا الأذى إلى من عنده الخير من الوشاة الذين أفسدوا علاقتي به .

استوت الأبيات الثلاثة في استخدام بنية التقابل ، في الأول (صواعق ، وديم) وفي الثاني (يشقى ، وتسعد) وفي الثالث (الصواعق ، والحيا)، واستوى الأول والثالث في استعارة الصواعق للأذى ، والمطر للخير ، واستعار الثاني المزن للعطايا(أعيذ مزنك)، وصور الشيم بصورة إنسان يتصف بالشقاء ، ثم حذف الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه (يشقى) على سبيل الاستعارة المكنية في قوله (يشقى ببارقه شيمي) أي يشقى ترقبي للسحاب ببرقه ، ويسعد غيري بمطره ، وفيه تشخيص للنظر والترقب .

بيت المتنبي ألطف من التاليين له ، حيث استخدم التمني لئلا يفجأ مخاطبه بما يسوؤه ، واستعار لمخاطبه (الغمام) تلطفا وتأدبا معه ، وتمنى أن يزيل عنه صواعقه .

والبيت الثاني صياغته خبرية أظنها قصد بها الدعاء لمزن المخاطب ألا يشقى بها هو ، ويسعد بها آخرون ، كما أن مزنك منزهة عن أن أشقى بها ، ويسعد بها غيري، وكأن ذلك لم يقع بعد .

---

(١) شرح العكبري ٣/٣٧١ .

وفي الثالث يقرر وجود الصواعق عنده ، والمطر والخير عند ذوي الكفر ، لكنه لم يتمنَّ زوالها إليهم ، فجاءت صياغته خبرية تقريرية ، ولم يتلطف في مواجهة مخاطبَيْه ، وصواعقه أشد ؛ إذ وصفها بالانقضاض ، وعلى رواية الديوان (أعندي ...) يكون الأسلوب إنشائيا يثير الانتباه ؛ إذ استخدم الاستفهام الدال على الإنكار التعجبي ، وأنه ما كان ينبغي أن يكون نصيبه منهما الصواعق –على ما لديه من عرفان وشكر للنعمة– ونصيب غيره المطر والخير على الرغم من كفرانهم وجحودهم .

وقد أراد أن يعدد أفراد الخير عند مناوئيه ، ويدل على كثرتها فعطف على (الحيا) ما يترتب عليه من ليونة الثرى وإخصابه بسبب المطر مما يعني أن الخير إلى زيادة واستمرار ، حيث سينبت هذا الثرى الندي ، ويثمر نباته ، أما هو فعنده الصواعق التي لا تلقح شجرا ، ولا تخلف خيرا إلا الرعب والفزع والهلاك .

فربما بز ابن الرومي المتنبي بعطف (الثرى الجعد) –وإن كان المتنبي عبر بالجمع (ديم)، وبزه المتنبي بتمني زوال الصواعق إلى خصومه ، وحرصه على استرجاع العلاقة الطيبة مع ممدوحه ، والإبقاء على وده .

هذا ، وقد أورد صاحب الوساطة البيتين الأول والثالث في سرقات المتنبي[١] ، على حين عَدّ بيت المتنبي في موضع آخر مما يسلم له به قصب السبق ونصال النضال [٢] مما يدل على أنه غفر له أخذه عن ابن الرومي بحسن الصياغة، كما أورده صاحب يتيمة الدهر والبديعي ضمن سرقات الشعراء من المتنبي حيث أخذ عنه السري قوله :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه ∴ عندي وعند سواي من أنوائه [٣]

---

(١) الوساطة ص ٣٣٩.

(٢) الوساطة ص ٩٢،٩٧ .

(٣) اليتيمة ١٦١/١ .والصبح المنبي ص ٢٧٨.

الموضع الخامس والعشرون

الإلجاء إلى الرحيل مع القدرة على منعه

وقال أبو الطيب :

إذا تَرَحَّلتَ عَن قَومٍ وَقَد قَدَروا ∴ أَن لا تُفارِقَهُم فَالراحِلونَ هُمُ

قال ابن وكيع [١]: قال أبو تمّام: [٢]

وما القفرُ بالبيدِ القَواءِ بَل التي ∴ نَبتْ بي وفيها ساكنُوها هي القَفْرُ [٣]

"يقول: إذا سرتَ عن قوم وهم قادرون على إكرامك بارتباطك، حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم، فهم المختارون للارتحال، يشير بهذا إلى إقامة عذره في فراقهم، أي أنتم تختارون الفراق إذ ألجأتموني إليه" [٤].

أبو تمام يذم مصر ؛ إذ لم يوافق رغبته فيها فيقول : ليست الأرض الخلاء هي الصحراء القفر ، بل القفر هي مصر التي أبعدتني وفيها ساكنوها ، فربما مقصده أنه كان بإمكان ساكنيها أن يمنعوه الرحيل عنها .

---

(١) المنصف ٦٣٥/٢ .

(٢) وافقه قائلا بالأخذ الصديقي في (أخبار أبي الطيب المتنبي) ، وأنكره البرقوقي قائلا :وأين هذا من ذاك؟ ٨٩/٤ .

(٣) القفر : مفازة لا نبات بها ولا ماء (اللسان/قفر) ، البيد : جمع بيداء : الصحراء (اللسان/بيد) ، والقواء :القفر الخالية (اللسان/قوي) ،نبت بي تلك الأرض : أي لم أجد بها قرارا (اللسان/نبا) ،البيت في ديوانه بشرح الأعلم الشنتمري، ٢٢٢/١ ،يقول : ليست هذه القفار التي تعسفتها إلى مصر بقفار على الحقيقة ،ولكن مصر التي نبت بي ولم أوافق فيها رغبتي هي القفر وإن كانت مغمورة بأهلها.

(٤) العكبري ٣٧٣/٣ .

حديث أبي تمام في المكان نقله المتنبي إلى الأشخاص ، فالمعنى مغـــاير باعتبار المقصود به ، عند أبي تمام المقارنة بين القفر ومصر، وعند المتنبي بينه وبين سيف الدولة ، مصر ألجأت أبا تمام إلى الرحيل ، وسيف الدولة ألجأ المتنبي وكان قادرًا على إبقائه وإغنائه ، مع الفارق في الصياغة :

(ترحلت) بالزيادة والتضعيف تدل على أنه تعرض لعناء مفرط جعله يجدّ في الرحيل ويمعن فيه ،ويتحمل صعابه، ويكابد مشاقه .

ثم الجملة الحالية (وقد قدروا..) أي والحال أن هؤلاء القوم بإمكانهم أن يوفروا له الراحة والمال وما يغني عن الرحيل ، وقد أكد قدرتهم علـــى إغنائـــه بـــ(قد) التحقيقية .

ثم يأتي جواب الشرط (فالراحلون هم) بتقديم المسند على المسند إليـــه في محاولة لقصر الرحيل عليهم قصرا إضافيا ادعائيا، أي هم مـــن رحلـــوا مـــن حياتك لأنهم ألجؤوك إلى الرحيل ، والجملة اسمية لتدل على ثبوت صفة الرحيـــل للقوم لأنهم من تسبب فيه ، وقد أكد ذلك بقصر طريقه تقديم المسند (الراحلـــون) على المسند إليه (هم).

الصياغة شرطية بـــ(إذا) المفيدة لليقين ، فالمتنبي متيقن من هذا الحكم متأكد أتم ما يكون التأكد .

وفي المقابل عند أبي تمام الصياغة اسمية في صـــورة قصـــر طريقـــه االعطف بـــ(بل) مما يفيد التأكيد أيضا تأكيد نسبة الحكم إلى البلدة التي نبت بـــه ، وأتبع التأكيد تأكيدا آخر بالضمير (هي) .

أما الجملة الحالية التي تقابل جملة المتنبي (وقد قدروا ...) فهي (وفيها ساكنوها) أي الحال أن تلك البلدة وسعت ساكنيها ، وضنت أن تسعني ، وعبـــارة المتنبي أدل على قدرة من رحل عنهم على إبقائه ، أما البلدة فلا إرادة لها ، ومن

ثَم لا حول لها في إبقائه على أرضها ، وإثنائه عن الرحيل عنها ، فهو لم يسند الحكم إلى ساكنيها مباشرة ، فالمعنى صريح عند المتنبي ، مستلزم عند أبي تمام؛ إذ يلزم من قوله (وفيها ساكنوها) أنه كان بإمكانها أن تضمني إليهم لا أن ترغمني على الرحيل.

للمتنبي جناس الاشتقاق بين (ترحلت) و (الراحلون) ، ومراعاة النظير بين (الرحيل) و (الفراق) ، والطباق بين (ترحلت) و (لا تفارق) وهكذا جاءت ألفاظه يؤكد بعضها بعضا ، ويضفي على البيت جرسا وتنغيما .

ولأبي تمام رد العجز على الصدر في اللفظين المكررين (القفر) ، ومراعاة النظير بين (القفر) و (البيد) و (القواء) ، والتقابل بين (نبت بي) و (فيها ساكنوها) فهو تقابل بين راحل أو مهاجر وبين قار أو ساكن ، يوضح المعنى ويقويه بالمقارنة بين حالين: حال الاستقرار والراحة وحال النزوح والمعاناة.

وفي (نبت بي) مجاز شخص أرض مصر وبث فيها الحياة ، وصورها مجافية للرجل نابذة له .

عبر المتنبي بالمصدر المؤول (ألا تفارقهم) ليعرض الصورة المنبوذة للفراق عن طريق الفعل المضارع الذي يستحضر الصور في الأذهان .

لقد استوى الشاعران في توظيف القصر ، والاعتراض بالجملة الحالية ، وتوظيف المفارقة اللافتة للنظر ، للمتنبي مفارقة وصف المقيمين بـ(الراحلين) لأنهم رحَّلوه ، يقابلها عند أبي تمام مفارقة وصف أرض مصر العامرة بـ(القفر) لأنه لم يصادف فيها رغبته .

ويمكن أن يعد هذا من استخراج معنى من معنى احتذي به عليه وفارق ما قصد به إليه ، وهذا من السرقات المحمودة عند ابن وكيع ، فالمتنبي لم يأخذ من أبي تمام أخذا مباشرا ، يؤاخذ به ، وإنما ولد منه معنى آخر بفعل التأثر ، وكيف لا يتأثر به وهو (أستاذ كل من قال الشعر بعده) على حد قول المتنبي !؟

والحق أنه لو درس شعر المتنبي من منظور التناص النقدي الحديث لكان براء مما نسب إليه من اتهام السرقة ، إذ أكدت نظرية التناص كونه معيارا من معايير النصية ، وعدته عملية فنية إبداعية لا مناص منها، فالنص يتقاطع مع سابقه أو معاصره عن قصد أو عن غير قصد بعامل التأثير والتأثر .

ثانيا : الموضعان المنقودان

الموضع الأول : خيل سيف الدولة تلاقي كرام الخيل

قال المتنبي:

فلُقّين كل ردينيةٍ ∴ ومصبوحةٍ لبنَ الشائلِ

"إن خيل سيف الدولة بعد جهدها في الطلب ، وإغراقها في الركض لقيت مع الخارجي أشداء الأعراب الذين يطاعنون بالرماح الردينية ، وتعدو بهم كرائم الخيل التي تؤثر باللبن عند قلته ويكون صبوحها مع شدة الحاجة إليه " (١)

قال ابن وكيع :" المصبوحة: الفرس التي تسقى صباحاً، والشائل: التي لا لبن لها، والشائلة: التي تبقى بقية من لبنها، وقد سئل عن هذا فقال: أردت الهاء فحذفتها، ويقال إن الناقة إذا شال لبنها خفّ ومرؤ ونجع في شاربه ، فدل أنه إذا كان بهذه الصفة لم يسقوه إلاّ كرام خيلهم والشائل: التي قد شالت بذنبها وهذا لا يدخل في معنى بيته. وقال بعض النحويين: الشائل: التي شال لبنها والقياس يوجب ذلك لأنه [لا] (٢) يشاركها فيه الذكر كما أن القياس في الشائلة هي التي تشول بذنبها لأنها يشاركها فيه الذكر وهو القياس فإن استعمل هذا القياس سلم المتنبي من أن يكون حذف الهاء ضرورة " (٣) أي أن (الشائل) هي التي قل لبنها ، فلا داعي لتاء التأنيث التي تميز الأنثى عن الذكر لأنه معنى لا يشاركها فيه.

ومما يؤيد هذا القياس ما جاء في الرسالة الموضحة " الشائل هي التي شال لبنها من النوق ، وشال : ارتفع ، وجمع الشائل : شول ، وهي القليلة اللبن

---

(١) شرح شعر المتنبي ، ابن الأفليلي ص ٢٠٦/١ .

(٢) سقطت (لا) من المنصف والصواب إثباتها ليستقيم المعنى .

(٣) المنصف ٦٢٧/٢ .

من النوق ، وقد شولت إذا قل لبنها " [١] وجاء أيضا في أساس البلاغة ما يؤيد هذا القياس : " الشائل التي ارتفع ضرعها وقل لبنها لحمل أو نحوه " [٢]

ولعل المتنبي غفل عن هذا القياس ، ولو علمه لاحتج به بدلا من قوله (أردت الهاء فحذفتها).

أراد أن يثبت انتصار خيل سيف الدولة على خيول الخارجي رغم كرامتها وعتقها وإيثارها باللبن رغم قلته ، أي أنها موضع عناية أصحابها ، وعلى الرغم من ذلك فاقتها خيل سيف الدولة .

فإذن االشائل –بدون التاء– التي قل لبنها لأنه لا يشاركها في هذا المعنى الذكر ، وإنما تدخل التاء للتفرقة بين بين المذكر والمؤنث، أما الشائلة – بالتاء–فهي التي شالت بذنبها للقاح ، وهذا المعنى غير مقصود في البيت ، وعليه يبرأ بيت المتنبي من النقد الموجه إليه .

(١) الرسالة الموضحة ، ص٧٥ .
(٢) أساس البلاغة / شول .

الموضع الثاني: تحيُّر الفارس عن مذهب الراجل

قال المتنبي :

إذا ما نظرتَ إلى فارسٍ ∴ تحيّرَ عن مذهب الرَّاجل

قال ابن وكيع :" في (نظرت) ضمير يعود على الممدوح وهو المخاطب ، والمبالغة فيه غير مستحكمة لأن الفارس قد يتعذر عليه بعض مذاهب الراجل من الصعود في الهضاب الصعبة والدخول بين الغياض والأشجار وغيرها " (١)

أقول : يجوز أنه عجز عما يقدر عليه الراجل من الفرار وهو أقدر عليه؛ إذ معه فرس لكنه لارتباكه من نظرتك لم يستطع ، وضرب عليه الخوف بالشلل المؤقت ، فسلبه الحركة ، وظل في مكانه ، وعجز عما يمكن أن يأتيه الراجل من الهرب على الرغم من أن فرسه تعينه عليه.

فالمبالغة قائمة قوية ، إذ للممدوح قدرة على إخافة عدوه مهما كان متسلحا، ومهما أعد للقائه من قوة ، نظرة منه تلغي سلاح عدوه وينعدم معها أثر أهبته واستعداده .

(١) المنصف ٦٢٨/٢ .

الخاتمة

بعد العرض والتحليل والموازنة توصل البحث إلى مجموعة من النتائج :

- تحامُل ابن وكيع على المتنبي جلي لا يتطرق إليه شك ؛ إذ يوازن بين قول المتنبي وقول غيره على الرغم من اختلاف الغرض ، وبينه وبين ثلاثة أو أربعة آخرين في آن واحد ، ويتعمد تسريقه في غير سرقة ، وأبت نفسه أن ترجح قول المتنبي إلا في موضعين من المواضع المدروسة .
- كان لابن وكيع أثر واضح فيمن بعده ممن تناولوا شعر المتنبي بالشرح وخاصة العكبري الذي نراه يتبعه في قوله : ينظر إلى قول فلان ... أو مأخوذ من فلان .... ويذكر البيت نفسه الذي جاء عند ابن وكيع.
- اختلفت صورة المعنى عند المتنبي عن صورته عند غيره بشكل يجعل المتنبي فائقا على غيره في جل مواضع الموازنة .
- مبحث السرقات في النقد العربي –عموما– فيه يُمارس ضغط على الشعراء ، وتكلفة ما فوق الوسع والطاقة ، وهو أن يبرأ الشاعر من منابع ثقافته ، ويتجرد من قراءاته ، فلا يقول إلا ما لا صلة له بما طرق غيره من الشعراء وإلا عُد سارقا ، اللهم إلا ما كان من عبد القاهر الجرجاني .
- قراءة المتنبي في ضوء (التناص) تبرئ ساحته من سهام السرقة التي رمي بها من أكثر من جانب .

يوصي البحث بقراءة جديدة للأدب العربي في ضوء نظرية التناص ؛ لرفع الضيم عمن اتهم بالسرقة من الشعراء .

مصادر البحث ومراجعه

١. الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى ،العميدي ، تحقيق /إبراهيم الدسوقي البساطي ، دار المعارف –القاهرة ١٩٦١ م.

٢. أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق/ عبد الرحيم محمود، عرف به /أمين الخولي ،دار المعرفة –بيروت ، دت .

٣. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق/ محمود شاكر ،ط١ المدني – جدة ، القاهرة ١٩٩١م.

٤. الأعلام ، الزركلي ، ط ١٥ دار العلم للملايين ٢٠٠٢م .

٥. تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي ، تحقيق /بشار عواد معروف ، ط١ دار المغرب الإسلامي ٢٠٠١م.

٦. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ، ط٤ ، دار الثقافة – بيروت ١٩٨٣م.

٧. التذكرة الحمدونية ،محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي ط١،دار صادر–بيروت ١٤١٧هـ.

٨. دلائل الإعجاز.عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق/ محمود شاكر ، ط٣ المدني –جدة والقاهرة ١٩٩٢ م.

٩. ديوان ابن الرومي ، تحقيق د. حسين نصار ط ٣ دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث–القاهرة ٢٠٠٣م .

١٠. ديوان ابن المعتز ،دار صادر –بيروت

١١. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط٤ دار المعارف ،دت .

١٢. ديوان أبي تمام بشرح الشنتمري ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ٢٠٠٤م .

١٣. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، تحقيق /مصطفى السقا ،وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة–بيروت ، دت.

١٤. ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح الواحدي ، فهرسة/ فريدرخ ديتريصي ، ط برلين ١٨٦١م.

١٥. ديوان أبي نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٨٤م.

١٦. ديوان الأعور الشني ، صنعة وتحقيق /ضياء الدين الحيدري ،ط١ مؤسسة المواهب –بيروت ١٩٩٩م.

١٧. ديوان البحتري ، تحقيق /حسن كامل الصيرفي ، ط٣ دار المعارف –مصر ١٩٦٣م.

١٨. ديوان بشار ، تحقيق / محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع – تونس ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ١٩٧٦م.

١٩. رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني ، ضمن مجموعة رسائل البلغاء، جمع/ محمد كرد علي ، ط دار الكتب العربية الكبرى (مصطفى البابي الحلبي) – القاهرة ١٩١٣م .

٢٠. الرسالة الموضحة ، الحاتمي ، تحقيق/ د. محمد يوسف نجم ،ط٢ دار صادر – بيروت ٢٠١٠م.

٢١. سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ م .

٢٢. شرح ديوان المتنبي ، البرقوقي ، دار الكتاب العربي –بيروت ١٩٨٦م .

٢٣. شرح شعر المتنبي– ابن الأفليلي المحقق: د. مصطفى عليّان، مؤسسة الرسالة –بيروت١٩٩٢م.

٢٤. الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق/ مصطفى السقا، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ،ط٢ دار المعارف ، دت.

٢٥. العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، اليازجي تحقيق /عمر فاروق الطباع ط١ ، شركة دار الأرقم –بيروت.

٢٦. العقد الفريد ،ابن عبد ربه الأندلسي ، ط١ دار الكتب العلمية –بيروت ١٤٠٤هـ.

٢٧. العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق د. النبوي شعلان ، ط١ الخانجي –القاهرة ٢٠٠٠م .

٢٨. لسان العرب لابن منظور، تحقيق/ أمين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي. ط٣ إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٩٩ م.

٢٩. المتنبي ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود محمد شاكر، المدني– القاهرة وجدة ١٩٩٨م .

٣٠. المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ،د. محمد التونجي ،ط٢ عالم الكتب – بيروت ١٩٩٢م.

٣١. المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة، عباس حسن ،ط١ ،مصطفى البابي الحلبي ١٩٥١م.

٣٢. المثل السائر ، ابن الأثير، تحقيق/كامل محمد عويضة، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨م.

٣٣. مختصر السعد ، ضمن شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية –بيروت ، دت.

٣٤. مشكلة السرقات في النقد العربي ، محمد مصطفى هدارة ،مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.

٣٥. مع المتنبي ، طه حسين ، دار المعارف – مصر ، دط ، دت.

٣٦. معجز أحمد ، لأبي العلاء المعري ، تحقيق /عبد المجيد دياب ، ط ٢ دار المعارف ١٩٩٢م .

٣٧. معجم الشعراء ، المرزباني ، تحقيق/د. فاروق اسليم، ط١ دار صادر – بيروت ٢٠٠٥م.

٣٨. المنصف في نقد الشعر، ابن وكيع التنيسي، تحقيق/د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة –دمشق ١٩٨٢م.

٣٩. الموازنة ، الآمدي ، تحقيق /السيد أحمد صقر ، ط٤ ، دار المعارف ، دت .

٤٠. نهاية الأرب في فنون الأدب ،النويري ،تحقيق /مفيد قميحة وآخرون ط١ دار الكتب العلمية –بيروت ٢٠٠٤م.

٤١. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوي ، المكتبة العصرية –بيروت ٢٠١٠م.

٤٢. وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق / إحسان عباس دار صادر – بيروت ١٩٠٠م.

٤٣. يتيمة الدهر ، الثعالبي ، تحقيق/ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٩٤٧م ،ط٢ ١٩٨٣م .

موقع إلكتروني: http://www.almotanabbi.com/poemPage.do?pageId=٣٠٣

فهرس المحتويات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	**مقدمة**	٣٠٥١
٢	**تمهيد**	٣٠٥٤
٣	أ ــ المتنبي وابن وكيع	٣٠٥٤
٤	ب ــ السرقات والتناص والصورة	٣٠٥٧
٥	**أولا : المواضع التي وازن فيها ابن وكيع بين شعر المتنبي وبين شعر غيره:**	٣٠٦٢
٦	الموضع الأول : الثبات في أرض المعركة	٣٠٦٢
٧	الموضع الثاني : العذل في السماح	٣٠٦٤
٨	الموضع الثالث : التطلع للقبس من شرف الممدوح	٣٠٦٦
٩	الموضع الرابع : الدعاء للمرثي بالسقيا	٣٠٦٩
١٠	الموضع الخامس : امتناع نقل الطباع	٣٠٧١
١١	الموضع السادس : سقم العشق مستعذب	٣٠٧٤
١٢	الموضع السابع : قسمة الموت العادلة	٣٠٧٦
١٣	الموضع الثامن : إدراك الثأر مهما عز وامتنع	٣٠٧٨
١٤	الموضع التاسع : الممدوح قائد الكتيبة وعنصرها الفعال	٣٠٨٠
١٥	الموضع العاشر : عزيمة نافذة وعلو فائق	٣٠٨٢
١٦	الموضع الحادي عشر : حلل القصيد تزدان بمدحه	٣٠٨٦
١٧	الموضع الثاني عشر : الدعاء بموافقة القدر لرغبات الممدوح	٣٠٨٩
١٨	الموضع الثالث عشر : عقاب الممدوح وعطاؤه	٣٠٩١

م	الموضوع	رقم الصفحة
١٩	الموضع الرابع عشر : بلى الموت وبلى الحزن	٣٠٩٤
٢٠	الموضع الخامس عشر : العطاء يستمد قيمته من المعطي	٣٠٩٦
٢١	الموضع السادس عشر : التجربة تبين عن معدن الرجال	٣٠٩٩
٢٢	الموضع السابع عشر : زيارة الخيال بالفكر والادكار	٣١٠٢
٢٣	الموضع الثامن عشر : التلاقي على البعاد	٣١٠٥
٢٤	الموضع التاسع عشر : الأثر الحسن يقود إلى صاحبه	٣١٠٨
٢٥	الموضع العشرون : لباس من عيون	٣١١٠
٢٦	الموضع الواحد والعشرون: رواق من عجاج	٣١١٤
٢٧	الموضع الثاني والعشرون : عمَّ سروره فعمَّ أساه	٣١١٦
٢٨	الموضع الثالث والعشرون : حلولها إشراق ومغيبها غروب	٣١١٩
٢٩	الموضع الرابع والعشرون : أذاه عندي وخيره عند من لا يستحق	٣١٢١
٣٠	الموضع الخامس والعشرون : الإلجاء إلى الرحيل مع القدرة على منعه	٣١٢٤
٣١	**ثانيا : الموضعان المنقودان :**	٣١٢٨
٣٢	الموضع الأول: خيل سيف الدولة تلاقي كرام الخيل	٣١٢٨
٣٣	الموضع الثاني: تحير الفارس عن مذهب الراجل	٣١٣٠
٣٤	**الخاتمة**	٣١٣١
٣٥	**مصادر البحث ومراجعه**	٣١٣٢
٣٦	**فهرس المحتويات**	٣١٣٦